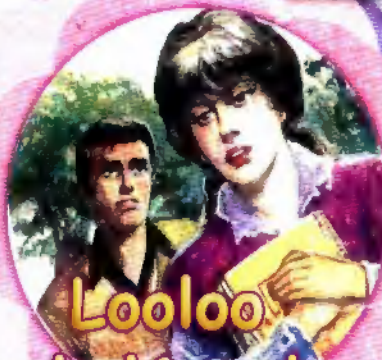


روايات مصرية الجيب

اتسامة القدر

زهور

84



Looloo

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية للحديث
للطباعة والنشر
TATAYY - YEMAR - 94-ASAP
طالوت - 94-00-00

هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتتحول إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحب .. الحب الذي يروي هذه المشاعر ..
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين
مزهرة ، ورياض غناء ..

إنه الحب .. الحب بمعنى الرحب : حب الحبيب .. حب الأبن ..
حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..
هذه الكلمة السحرية التي تثيب أحجار القلوب .. وتنبث
الزهور الياقة في صخور المشاعر الصلدة ..
إنها الزهور التي ينشدها كل منا في لحظات اليأس .. وفي
لحظات الغضب .. وفي لحظات الكراهية .. وفي لحظات
الجفاف .. فتشيع عبرها الفواح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى
قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا ..
إن الحب بمعنى الكبير .. ومعناه السامي ، وبإيمانه عن
الآتية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شيء خلقه الله في هذا
الوجود !!

وفي هذا الزمن الذي طفت فيه الأنعام المادية والآتية
الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا
النوع من الحب .. نحتاج لزهور نمستشق عبرها ، فتحرك
مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفي كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننقل من زهرة
إلى زهرة .. في بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة
الإحساس .. وزهور الحب ..

المؤلف

١- امرأة مريضة ..

كان الطقس مزعجاً وغريباً في هذا اليوم .. خاصة
وأن الربيع على الأبواب ولم يكن من المعتاد أن يكون
المناخ سيئاً في هذا الوقت من العام ..

لكن يبدو أن الشتاء لم يأن أن يرحل دون أن يعلن
عن وجوده بقوة وقسوة ، فقد اتهمرت الأمطار غزيرة
بالخارج .. ولأخفت الرياح العاصفة تحمل قطرات
الماء المنهمرة .. لتكثف بها بقوة في اتجاهات شتى ،
لتزيد من الإحساس بقوة هذا السيل الجارف من
الأمطار ..

وقفت (هالة) تتأمل هذا الطقس العاصف الممطر
من وراء نافذة حجرتها ، وقد اعتراها إحساس
بالضيق والرهبة في آن واحد ..

فهي لا تحب هذا المناخ المقبض الذي يجبر المرء
على أن يظل حبيماً بين جدران منزله ..

***** ٥ *****

فضلا عن أنها اضطرت إلى الامتناع عن الذهاب إلى كليتها ، وحضور إحدى المحاضرات المهمة التي تحرص على متابعتها بسبب هذا الطقس السيئ ..

وارتسمت ملامح التجهم على وجهها الرقيق والدقيق الملامح .. فظهرت تقطبية صغيرة على جبينها .. وأطّلت نظرة متبرمة من عينيها الزرقاوين لتعبر عن حالتها النفسية في هذه اللحظة .

لكن هذا لم يفسد شيئا من جمال وجهها .. الذي كان يحتفظ دائما بصفاة وجاذبيته في جميع الحالات ، وفي شتى الانفعالات التي يمكن أن تطرأ عليها .

وبينما هي ترقب حالة الطقس السيئة من نافذة حجرتها .. إذا بها ترى سيارة زرقاء تقترب من الفيلا التي تقطنها .. وهي تندفع وسط هذا الجو العاصف وكأنها تتحداه برغم قسوته لتتوقف أمام الباب الخارجي .

دققت (هالة) للنظر في السيارة ، وقد بدا لها للوهلة الأولى أنها تعرفها وتعرف صاحبها .

***** ٦ *****

ولم يعد لديها مجال للشك عندما رأت ذلك الرجل ذا الشعر الأبيض ، والشارب الرمادي وهو يقار السيارة غير عابئ بذلك المطر المنهمر بشدة ، والذي كان يبلل ثيابه ومطفيه .

إنه الحاج (عبد الراضى) .. جارهم الذي يقطن في الفيلا المجاورة ..

لا بد أن لديه سببا قويا لكي يخرج في جو سيئ كهذا .. ويأتى إلى منزلهم في مثل هذه الساعة المتأخرة .

ولسرت بمغادرة حجرتها وهي تتقفز درجات السلم المؤدى إلى الطابق السفلى لتستقبله بنفسها ، بينما وضع الرجل يده على جرس الباب بطريقة مزعجة ، تدل على إلحاحه ، ثم ما لبث أن تحول إلى الطريق على الباب بطريقة أكثر إزعاجا .

وحينما وصلت (هالة) إلى الطابق السفلى وجدت الخادمة قد سبقتها إلى فتح الباب ، حيث رأت الرجل

***** ٧ *****

وهو يندفع من خلفه وقد بدا في حالة من الاضطراب الشديد ، وهو يسأل عن صاحب المنزل قائلاً :

- (مصطفى) بك موجود ؟

قالت له الخادمة وهي تحاول إخفاء تهرمها من الطريقة التي حضر بها الرجل :

- كلا يا سيدى .. إنه مسافر ، وأظن أنه سيحضر غداً .

أسرعت (هالة) لاستقباله ، في حين انصرفت الخادمة وهي ترحب به قائلة :

- أهلاً يا عمى .. تفضل .

لكنه نظر إليها بلهفة قائلاً :

- الحمد لله على أننى وجدتك يا بنيتى .. فانا بحاجة ملحة لمساعدتك .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- هل حدث شيء ؟

قال لها وهو يحاول السيطرة على انفعالاته :

***** ٨ *****

- إن زوجتى مريضة للغاية .. وتبدو في حالة سيئة جداً .

وقد حاولت الاتصال بالطبيب الذى يعالجها هاتفياً .. لكن يبدو أن الخطوط معطلة في المنطقة .

- نعم .. هذا صحيح .. إن الهاتف لدينا معطل أيضاً .. ويبدو أن لهذا الطقس السيئ دخلاً في ذلك .

- إتنى مضطر للذهاب الآن وإحضار الطبيب بنفسى .. وهو غير بعيد عن هنا ، لكننى أخشى أن أترك زوجتى بمفردها ، وهى فى هذه الحالة السيئة ، فلا أدرى ما الذى يمكن أن يحدث لها فى أثناء غيابى ؟

لذا أريد أن استأذن والدك فى أن تأتى إلى منزلى لتبقى معها ، حتى أحضر الطبيب .. لو أن ظروفك تسمح بذلك .

قالت (هالة) سريعاً :

- مهما كانت الظروف .. فليجاء لن تحول بينى وبين الذهاب إلى طنط (نوال) وهى مريضة على هذا النحو .

***** ٩ *****

قال لها شكرًا :

- برك الله فيك يا بنيتي .. لكن والدك غير موجود ..
وكنت أفضل أن أستاذن منه قبل مغادرتك للمنزل في
هذا الوقت المتأخر .

- لو كان والدي موجودًا لأذهب معي .. وعندما يعود
من السفر سأخبره بالأمر ، وأنا وثقة أنه سيؤيدني
فيما أفعله .. فهو صديق لك .. فضلًا عن الجيرة
القديمة التي تجمع بيننا .. كما أنه يعرف كم أحب
طنط (نوال) وأعدها بمثابة أم لي .

قال لها متلهفًا :

- حسن .. هل يمكنك أن تبدلي ثيابك سريعًا ريثما
أنتظرك في سيارتي ؟

- لا تضع الوقت يا عسى .. اذهب أنت لإحضار
الطبيب .. وسأبدل ثوبي سريعًا وأضع إشارتي على
رأسي .. ثم أذهب إلى المنزل .

يمكنك أن تعطيني المفتاح فقط حتى أتمكن من
الدخول .. وأنا سأتكفل بالباقي .

***** ١٠ *****

قال لها مترددًا :

- لكن الطقم بالخارج سيئ للغاية .

- إن المنزل مجاور لنا .. فهو في نهاية الشارع ..
وسأحضر معي مظلة لتقيني من المطر .. أرجوك
أسرع أنت بالذهاب إلى الطبيب ولا تحمل همًا ..
سلمها مفتاح الفيلا وهو يسرع بمغادرة المنزل
فقلًا :

- اشكرك يا بنيتي .. إني معتمد عليك في رعاية
زوجتي حتى أحضر .

وقدفع دخل سيارته وهو يردد لنفسه :

- ساعدني يا إلهي .. أرجو ألا تسوء حالتها قبل
إحضار الطبيب .

بينما أسرعت (هالة) بإرتداء ثوب مناسب
للخروج ، وتبشرت فوقه بمعطف جلدي .. ثم وضعت
إشارتها على رأسها وأخذت مظلتها تاهبًا لمغادرة
المنزل .

***** ١١ *****

لكن الخدمة استوففتها قليلة :

- إلى أين يا سيدتى ؟

- إلى منزل الحاج (عبد الراضى) .. ألم تسمعى
ما قاله ؟

- لكن ... فى هذا الطقس السيئ ..

- أيا كانت حالة الطقس .. لا يمكننى أن أتأخر عن
الذهاب لرؤية طنط (نوال) ورعايتها مادامت مريضة
هكذا .

- ولكن قد تصابين بالبرد .

- لقد اتخذت احتياطاتى .. وهذا المطف وتلك المظلة
سيقيتني من المطر .

- وماذا لو اتصل أبوك للاطمئنان عليك ؟

- أخبريه بأننى ذهبت إلى منزل الحاج (عبد الراضى) ..
وأطلعنيه على الأمر .

ثم سارعت بفتح الباب ومغادرة المنزل .

دخلت (هالة) إلى حجرة السيدة المريضة ، والتي

***** ١٢ *****

كانت تبدو فى شبه غيبوبة ، وقد رقت على فراشها
وهى تلهث من شدة المرض .. فى حين بدا وجهها
وكأنه لا أثر للحياة فيه من شدة اصفراره .

كان من الواضح أن حالتها سيئة بالفعل .. وأنها
بحاجة إلى تدخل علاجى سريع .

ووجدت (هالة) نفسها وقد طفرت العبرات من
عينيها على الرغم منها .. وهى تحيط رأس تلك
السيدة ذات الوجه الوقور ، الذى يتفق مع سنوات
عمرها التى تجاوزت الخمسين ، والملامح التى تنم
عن الطبيعة والحنان بذراعيها .

لقد أحببت الحاجة (نوال) كثيراً .. وكانت تعدها
بمثابة أم لها .

خاصة وأنها فكت أمها وهى فى مرحلة مبكرة من
العمر .. وكانت هذه السيدة هى الوحيدة التى تمنحها
قدراً من الحنان فى تلك اللحظات التى جمعت بينهما ،
تعوضها بعض الشيء عن حنان الأمومة الذى حرمت
منه قبل أن تبلغ العاشرة من عمرها .

وقد كانت هذه المرأة مؤهلة لذلك .. فهى تحمل قلباً
عطوفاً مليئاً بالحب والحنان .

***** ١٣ *****

كما أنها تتميز بطيبة لم تجد لها مثيلاً في أى امرأة أخرى عرفتُها من بين جيرانها أو من بين أمهات صديقاتها .. أو حتى من عماتها .

لذا فقد أحست بخوف شديد وهي تراها على هذه الحالة .. ووجدت نفسها تبكى بشدة خوفاً من أن تفقد هذه السيدة التى تعدها بمثابة أم بديلة لها .

وما لبث أن تحول بكاؤها إلى دعاء حار بأن يحفظها الله وأن يكتب لها الشفاء .

نظرت (هالة) إلى ساعتها فى قلق .. وهي تترقب وصول الحاج (عبد الراضى) ومعه الطبيب من آن لآخر .

وما لبثت أن سمعت صوت السيدة للمريضة وهي تردد قليلة :

- (أحمد) .. (أحمد) !

أسرعت (هالة) إليها .. وهي ترجو أن تكون قد تنبّهت من غيبوبتها .

***** ١٤ *****

لكنها وجنتها ما زالت غير واعية بما يدور حولها .. وإن كان الاختلاف الوحيد الذى طرأ عليها هو ترديد لها لهذا الاسم .

أسكت (هالة) برسفها لتقيس نبضها ، الذى أحست أنه تنخفض عما كان عليه من قبل .. مما زاد من قلقها .

وهمست وهي تقرب شفيتها من أذن السيدة :

- طنط (نوال) .. طنط (نوال) !

لكنها لم تتلق إجابة .. فقد عادت المرأة إلى صمتها المطبق ولهاثها الذى ازداد حدة .

فنظرت إليها (هالة) وقد اعترأها الفرع قليلة :

- يا إلهى .. إن حالتها تزداد سوءاً .. يا ربى .. أنقذ هذه السيدة الطيبة من أجلى .

ويبدو أن الله قد استجاب لدعوتها سريعاً .

فقد سمعت صوت سيارة تتوقف بالخارج .. أعقبها رنين الجرس الخارجى للفيلا .

فاندفعت (هالة) لتفتح الباب .. حيث دخل الحاج (عبد الراضى) والطبيب فى أعقابها .

***** ١٥ *****

بأمرها قاتلاً :

كيف حالها ؟

.. إن نبضها ضعيف للغاية .

اصطحب (عبد الراضى) الطبيب إلى حجرة زوجته ..

قاتلاً :

.. تفضل يا دكتور .. أرجوك أبذل ما فى وسعك

لإنقاذها .

انتهى الطبيب من فحصها .. ثم تحول إلى زوجها

قاتلاً :

.. إن حالتها سيئة بالفعل وتستدعى نقلها فوراً إلى

أقرب مستشفى .

قال (عبد الراضى) منزعجاً :

.. مستشفى ؟ ولكن ..

قاطعها الطبيب بحزم :

.. أرجوك .. لا تضع وقتاً .. فلو لم نسرع بنقلها إلى

المستشفى .. فربما تكون معرضة للإصابة بنوبة صدرية .

نظر إليه الرجل فى فزع قاتلاً :

.. نوبة صدرية ؟

.. نعم .. إن قلبها فى حالة سيئة للغاية .. وكل

ما أستطيع فعله الآن هو أن أحققها بدواء لتوسيع

الشرايين .. لكن لا بد من نقلها إلى المستشفى .

قال له (عبد الراضى) وهو على وشك الانهيار :

.. افعل ما تراه يا دكتور .. لكن أرجوك أنقذها من

أجلى .

قال له الطبيب وهو يعد المحقن :

.. فلندع الله جميعاً لمساعدتها على الشفاء .. إننى

سأعطيها هذه الحقنة أولاً .. ثم نحملها إلى سيارتك

لنقلها إلى المستشفى .

كنت أفضل أن تتولى سيارة إسعاف مجهزة ذلك ..

لكن مادام الهاتف معطلاً .. فليس أمامنا سوى

استخدام سيارتك ..

٢- أريد ولدي ..

أخذ الرجل يسير فى طرقات المستشفى ذهاباً وإياباً ، وهو يتطلع من آن لآخر إلى حجرة العناية المركزة ، التى ترقد فيها زوجته .

وأشفقت عليه (هالة) من تلك الحالة التى يبدو عليها .. ففادرت مقعدها واقتربت منه قائلة :

- عى .. حاول أن تستريح قليلاً .. إن طنط (نوال) الآن بين أيدي الأطباء ، وهم يقدمون لها أفضل مساعدة طبية ممكنة .. فكن مطمئناً .

- لن أعرف الراحة ولا الاطمئنان .. قبل أن أطمئن عليها .

ابتسمت (هالة) قائلة وهى تحاول أن تخفف عن الرجل :

- لم أكن أعرف أنك تحبها كل هذا الحب .

قال لها (عبد الراضى) وقد بدا عليه التأثر :

***** ١٨ *****

- إن ما بيننا أكبر من الحب يا بنيتى .. لقد عشت هذه السيدة لأكثر من خمسة وعشرين عاماً كانت فيها نعم للزوجة .

تحملتنى فى أقصى الظروف التى تعرضت لها .. وشاركتنى حياتى فى السراء والضراء .. وكانت لى مكاناً وعوناً بمعنى الكلمة - ولا يمكننى أن أنسى فضلها على أبداً - كما أننى لا أتصور حياتى بدونها .

قررت (هالة) أن تنتهز الفرصة وتسأله :

- هل يعنى هذا أنك مستعد لعمل أى شىء من أجلها .. وإيخال السعادة على قلبها ؟

قال لها سريعاً :

- بالطبع يا بنيتى .. وهل لديك شك فى ذلك ؟ فليشفها الله أولاً ، وأنا مستعد لتلبية جميع طلباتها .

قالت له (هالة) سريعاً :

- حتى لو طلبت منك أن تعيد (أحمد) إلى المنزل ؟ تبيلت ملامحه فجأة وهو يسألها :

***** ١٩ *****

- (أحمد) من ؟

نظرت إليه (هالة) فى دهشة قليلة :

- (أحمد) .. ابنك !

لكنه قال لها فى جفاء :

- ليس لى ابن اسمه (أحمد) .. لم يعد لى أبناء .

- ولكن يا عمى ...

قاطعها فى حدة قائلاً :

- ما الذى جعلك تتذكرين هذا الاسم الآن ؟

قالت (هالة) بارتباك :

- لقد أخذت تردد الاسم وهى فى غيوبتها .

قال لها متجهماً :

- لابد أنها كانت تهذى .

- كلا يا عمى .. أظن أنها بحاجة لرؤية ابنها ..

خاصة بعد أن اشتدت عليها نوبات المرض هكذا .

بل إنى وثقة أن أحد الأسباب الرئيسية لاشتداد المرض عليها هو حرمانها من رؤية (أحمد) كل هذه المسنين الطويلة .

نظر إليها بضيق قائلاً :

- (هالة) .. هل ترين أن هذا هو الوقت المناسب

للتحدث فى أمر كهذا ؟

- آسفه يا عمى .. إذا كنت قد سمحت لنفسى بالتدخل

فى أمر كهذا .. ولكنى اعتبر نفسى بمثابة ابنة لكما ..

لو كنت رأيته اليوم وهى تردد الاسم .. لقد تألمت

كثيراً من أجلها .

- اسمعى يا بنيتى .. لقد تأخرت كثيراً فى العودة

إلى المنزل ، ما كان يجب عليك أن تأتى إلى

المستشفى .. بكفى ما تكبدته من مشقة اليوم ..

وذهابك إلى المنزل لرعاية زوجتى فى غيبى ..

هيا معى لأعيدك إلى منزلك .. ثم أعود إلى

المستشفى بعد ذلك للاطمئنان على الحاجة .

قالت (هالة) بإصرار ، وقد أدركت أنه يحاول أن

يمنعها من الاسترسال فى الحديث :

- إننى لا أستطيع أن أذهب قبل أن أطمئن على طنط

(نوال) .

- ولكن ...

وفي تلك اللحظة غادر أحد الأطباء غرفة العناية
المركزة ، وبصحبه الطبيب الذي أحضره للحاج
(عبد الراضى) .

فأسرع إليهما .. قائلاً فى لهفة :

- هه يا دكتور .. كيف حالها الآن ؟

قال له الطبيب الأول :

- الحمد لله .. لقد استقرت الحالة .. واستطاعت أن
تتجاوز الأزمة .

تنهد الحاج (عبد الراضى) بارتياح قائلاً :

- الحمد لله !

وكذلك وضعت (هالة) يديها فوق عينيها لتخفى
عبرات السعادة التى تدفقت منها .. وهى تردد
لنفسها :

- الحمد لله .. الحمد لله !

لكن الطبيب الثانى قال له محذراً :

- لكن يجب أن تعرف أن حالتها لم تستقر بشكل
نهائى .. وأنها من الممكن أن تتعرض لأزمات
أخرى .. لو لم توضع تحت ملاحظة دقيقة وتوليها
عناية خاصة .

ثم أضاف قائلاً :

- إننى أقترح أن نبقها هنا لفترة من الوقت حتى
تكون تحت ملاحظتنا .

قال للحاج (عبد الراضى) :

- إذا كان من الممكن نقلها إلى المنزل وإحضار
مرمضة .. فبئنى مستعد ...

قطعه الطبيب الأول قائلاً :

- اسمع يا حاج (عبد الراضى) - إن أهم شىء
بالنسبة لنا ليس هو الرعاية الصحية .. بل الرعاية
النفسية .

إن الحاجة معرضة لأزمات أخرى إذا ما حدث لها
أى انفعال شديد .. لو واجهت ضغوطاً نفسية .

لذا فإن ولجيك الأول تجاهها - إذا كنت تريد إعانتها
إلى المنزل - هو إبعادها عن أية انفعالات نفسية
أو عصبية .

- لكنى حريص على ذلك بالفعل .. فالعلاقة بينى
وبين زوجتى على أفضل ما يكون .. وأنا أبذل كل
جهدى للعمل على راحتها وإسعادها .

قال له الطبيب الثانى :

- ربما أن هناك شيئاً يحزنها أو يضايقها ولا تريد
أن تخبرك به ، أو تخفيه فى نفسها عنك حتى
لا تضايقك .

إن ذلك قد يشكل ضغطاً مضاعفاً على أعصابها
وقلبها المريض .

قال الرجل وهو فى حيرة :

- شئ تخفيه عنى ؟ إننا لم نعد أن نخفى شيئاً
عن بعضنا أبداً .

تدخلت (هالة) فى الحديث قائلة :

***** ٢٤ *****

- إننى أعرف الشئ الذى يكمن وراء مرضها ..
وعسى أيضاً يعرفه .

هم الرجل بالانفعال على الفتاة .. لكنه تدارك ذلك
ولاذ بالصمت فقد أدرك أن ما تقوله حقيقى .

بينما سألته الطبيب انثون قائلاً :

- إذا كنت تعرف حقاً مسبب الانفعال النفسى الذى
أدى إلى مضاعفة أزمتها المرضية على هذا النحو ؛
فعلبك أن تجنبها إياه .

إننى أقول لك ذلك بدافع عملى كطبيب وكصديق
فقيم .

الحمد لله .. هذه المرة نجت من موت حقيقى كان
يتهددها ، فى المرة القادمة .. لانعرف ما الذى يمكن
أن يحدث .

تحولت (هالة) إليه بعد اتصاف الطبيبين قائلة :

- هل سمعت ما قاله الدكتور يا عمى ؟ أرجوك
حاول أن تدخل البهجة والسرور على نفسها بعودة
لبنها إلى المنزل .

***** ٢٥ *****

قال لها وقد اعترته حالة من الوجوم :

- إن ما فعله لا يفكر .

قالت وفي صوتها نبرة رجاء :

- ليس مهماً الآن ما فعله .. إنها لم .. وهو ابنها الوحيد الآن - ومن حقها أن تراه وتسعد بوجوده معها .

التفت إليها قائلاً :

- هياً معي - لأعيدك إلى المنزل .

ابتسمت (هالة) قائلة :

- ستوافق على عودته إلى المنزل .. فأنت تحب طنط .. وأعرف أنك لن ترضي أن تتسبب في تعرضها لأي خطر آخر على صحتها .

أطلق زفرة قصيرة قائلاً :

- هيا يا (هالة) .

سألته وهي تتبعه لركوب السيارة قائلة :

- هل ستقلها إلى المنزل غذا ؟

- صبيما يرى الطبيب .

- على أية حال .. سأتي لزيارتها مبوءا . كلفت في المنزل أو بقيت في المستشفى .. ويمكنني أن أحضر لها أية أشياء تحتاج إليها من المنزل .

- لا داعي لذلك .. غذا ستكون منبرة للمنزل قد عانت من إجازتها ، ولو اضطر الأمر إلى بقائها في المستشفى فسلطاب منها إحضار ما تحتاج إليه للحاجة .

ابتسمت في دلال وهي تنظر إليه قائلة :

- هل أنت غاضب مني يا عمي ؟

- اسمعي يا (هالة) .. أنت مثل ابنتي .. ووالدك صديق لي .. لكني لم أكن لأحب أن تتدخل في موضوع حساس مثل موضوع (أحمد) .

- لولا طنط (نوال) ما كنت قد تدخلت في هذا للموضوع .

- حسن .. أرجو أن ينتهي الأمر عند هذا الحد .

- بعد كل ما قاله لك الأطباء !؟

قال لها بصراحة :

- أنا أعرف ما يجب على أن أفعله تجاه زوجتي .

لأدت (هالة) بالصمت ، فقد أدركت أنه لا جدوى من الجدل مع هذا الرجل العنيد .

عادت الزوجة إلى المنزل بعد أن اجتازت فترة النقاهة بالمستشفى ، وابتسم الزوج وهو يجلس بجوارها على الفراش قائلًا :

- حمدًا لله على سلامتك يا حاجة .. لقد نورت منزلك .

قالت له وهي تنظر إليه بامتنان :

- لقد أزهقت معي طوال الفترة الماضية .. وعطلتك عن أعمالك .

قال لها محتجًا :

- ماذا تقولين ؟ إنني مهما فعلت لن أوفيك ما تستحقينه .

- تسلم لى يا حاج .

لكنها أرقت وقد تبدل صوتها ليحمل نبرة عتاب ققلة :

- ومع ذلك .. فلما ملئت غاضبة منك .

أطرق برأسه قائلًا :

- أعرف ذلك .. وأعرف أيضًا أنني مسئول عما حدث لك .. وهذا ما ضاعف من إحساسي بالذنب نحوك .

تأملت يده بين يديها وهي تبسم له في طيبة ققلة :

- إنني فقط أحاول أن أمزح معك .

لكنه نظر إليها وفي وجهه إحساس حقيقي بالذنب ققلًا :

- يا حاجة .. إنني مستعد لأن أفعل أى شيء لترضيته .

اعترى وجهها مسحة من الحزن وهي تنظر إليه ققلة :

- (أحمد) .. يكفى غيابه عن المنزل كل هذه السنين .. إذا أردت أن تريح قلبي حقًا .. اصفح عن لبننا ودعه يعد إلى المنزل .

٣ - ذهاب بلا عودة ..

نظر إليها في يوم قاتلاً :

- مرة أخرى يا (نوال) .. هل سنعود إلى هذا الحديث مرة أخرى ؟

قالت له في توسل :

- هذا يرغبى يا (عبد الراضى) .. أنا أم .. وإيصاد
ابننا عنا كل هذه السنين شيء فوق طاقة احتمالى .

قال وهو يشيح بوجهه عنها :

- كنت أظن أنك ستترعين عاطفتك هذه نحوه بعدما
ارتكبه من جرم .

أمسكت بذراعه قليلة :

- لماذا لا تريد أن تصدق أنه لم يكن له يد فيما
حدث ، ولن وفاة (أكرم) كنت قضاء الله ؟

نهض من جوارها ليرتكز بهرفقه على
البوقيه الموجود داخل الحجرة ، وهو ما زال مشيحاً
بوجهه عنها ليقول :

■ * * * * * ٣٠ * * * * * ■

- إذا أردت أن تصدق ذلك فأتت حرة .. أما أما
فلا يمكن أن تصدقه أو أغفره .

قالت له زوجته مستعطفة :

- أنتظن أنني لست حزينة مثلك على وفاة (أكرم) ؟
لقد كان ابنى كما هو ابنك .. والاثنتان هما كل نصيبنا
من الدنيا .

وإذا كنا قد فقدنا أحدهما .. فلماذا تصر على أن
نفقد الآخر ؟

لم كل هذه القسوة يا (عبد الراضى) ؟

تحول إليها بانفعال قاتلاً :

- لأن هذا الذى تتحدثين عنه هو الذى تسبب فى
موت ابننا الآخر ! لقد قتله ! هل تفهمين ؟ لقد قتله !

نظرت إليه باستنكار قاتلة :

- أعوذ بالله .. متى تتخلص من هذا الشيطان الذى
يسيطر عليك ويدفعك لتصديق ذلك ؟ أخ يقتل أخاه !!
كيف سمحت لهذه الفكرة أن تستولى على عقلك ..

■ * * * * * ٣١ * * * * * ■

وتدفعك إلى طرد ابنك من منزلك وإبعاده عنا كل هذه
السنين ؟

اقرب منها وقد ازداد اتفعله قتلًا :

- لأن هذه هي الحقيقة .. ولماذا لا أصدق ؟ لقد
ارتكبت هذه الجريمة منذ بداية البشرية .. قتل (قابيل)
أخاه (هابيل) بسبب الغيرة .

واردف قتلًا بلسى :

- تمامًا كما قتل (أحمد) أخاه (أكرم) .

قلت وقد اكتسى وجهها بالحزن :

- لماذا تجيد الأحزان يا (عبد الراضى) ؟

- أنت التى دفعتنى لذلك .. إبنى أحاول أن أقسى ..
ولكن من الصعب على أن أفعل .

قالت له باستعطاف :

- ربما يكون (أحمد) قد أخطأ .. لكنه لم يتعمد أن
يقتل أخاه قط .. فقد كان يحبه ، لقد حققوا معه فى
هذا الأمر وثبتت برأته .

قال لها بمرارة :

***** ٣٢ *****

- بالنسبة لى فهو مدان - وحتى لو كان ما تقولينه
صحيحًا .. وأن وفاة أخيه كانت بسبب خطأ ارتكبه
ولمست بنية للعد .. فالأمر بالنسبة لى ميان .. إته
ممنول عن وفاة أخيه .. ممنول عن موت ابننا .

صمتت الأم وقد غلبها حزنها فطفرت العبرات من
عينها .. وهى تقول باستسلام :

- حسن يا (عبد الراضى) .. لفعل ما تراه .

نظر إليها وقد اعتراه إحساس بالذنب نحوها
والخوف عليها .. فاقرب منها قاتلاً :

- لماذا هذا البكاء الآن ؟ إتك ترينه وتلتقن به من
آن لآخر لتطمئنى عليه وعلى أحواله ..

أظنن إبنى لا أعرف ذلك ؟ إبنى أعرف كل شيء
وأظاهر بالجهل والغباء ، ومع ذلك لم أحاول أن
أمنعك برغم إبنى طلبت منك أن تقطعى صلتك بهذا
الولد نهائيًا .

ومع ذلك .. فقد كنت وثقا من أنك لن تلتزمى بما
طلبته منك .. وأك ستتهزين أية فرصة لكى تلتقى به

***** ٣٣ *****

(٣ م زهور عدد ٨٤) إنشامة القدر ١

سواء في القاهرة عند أخيك .. أو بإحضاره للمنزل بدون علمي .. وأعرف أيضاً أنك تمنحنيته تقوداً بالإضافة لتلك التي أدفعها لأخيك مقابل مصاريفه إقامته .. أعرف كل ذلك .. وأتظاهر بالجهل .. ولم أحاول أن أمنعك أو حتى أتحدث إليك في هذا الشأن رافة بك وبمرضك .. فماذا تريدني مني أكثر من ذلك ؟ نظرت إليه بعينين مغرورتين بالعبرات قلقة :

- وهل من السهل على أن ألتقي بابني الذي تبقى لي من حطام الدنيا خلسة ؟ وأن يأتني إلى منزلك في أثناء غيابك كما يفعل اللصوص ؟

ألا تدري كم يؤلمني ذلك .. ويزيد من أحزاني ؟ نظرت إليها لبرهة وقد ازداد خوفه عليها من الانفعال بعد أن تذكر ما قاله له الطبيب .. فقال لها وهو يضع يده على كتفها :

- لا داعي للبقاء .

ثم أطلق زفرة قصيرة قبل أن يستطرد قائلاً :

- حسن .. إذا كان يريد أن يعود إلى المنزل ، فأخبريه أنني موافق على عودته .

***** ٣٤ *****

نظرت إليه غير مصدقة وهي تقول :

- حقاً يا (عبد للراضى) ؟

قال لها وقد ارتسم على وجهه قناع الجمود :

- لقد وافقت على ذلك من أجلك فقط ..

قللت له وقد علت ملامح الفرحه وجهها :

- وستعامله معاملة طيبة .. أليس كذلك ؟

قال لها في قسوة :

- من الأفضل ألا يكون لي أي شأن به .

قللت وقد اعتلت وجهها مسحة الحزن مرة أخرى :

- إذن من الأفضل ألا يعود .. فهو لن يبقى إذا ما وجدك تعامله معاملة سيئة .

قال لها بضيق :

- لقد قلت لك إنني لا أريد أن يكون لي أي شأن

به .. ولم أتحدث عن معاملة طيبة أو سيئة .

قللت بمرارة :

***** ٣٥ *****

- بنى أعرف ابني جيداً .. أظن أنه سيحتل تجاهك
له وهو فى منزلك ؟

ربما وجد أنه من الأفضل له أن يحتل هذا التجاهل
وهو بعيد عنك ، على أن يجده منك وهو يحيا معك
تحت سقف واحد .

قال لها بلفعال :

- لماذا تريدان أن تحملينى أكثر من طاعتى ؟ لقد
وافقت على عودته إلى المنزل من أجلك .. من أجل أن
تجديه بجوارك ويحيا معك فى هذا المنزل كما ترغبين ..
فلماذا تريدان أن تحملينى أكثر من ذلك ؟

قالت له مستعطفة :

- إن كل ما أطلبه منك هو أن تحاول معاملته معاملة
طيبة .

قال لها بامتناع :

- حمن .. سأحاول .

ثم جلس بجوارها قتلاً :

- هل يرضيك هذا ؟

تولت يده لتقبلها قتلة :

- إن أسمى لك فضلك هذا .

أبعد يده ليضعها على رأسها بإشفاق قتلاً :

- والآن .. هيا لتأخذى الدواء .. ثم استريحى
قليلاً .

وقدم لها الدواء ثم قام بتغطيتها وهى تنظر إليه
بامتنان قتلة :

- الآن فقط .. يمكننى أن أشعر بالراحة .

غادر حجرتها متجهاً إلى حجرته ، حيث توقف أمام
صورة ابنه الراحل ، والتي كانت موضوعة فوق
مكتبه وقد ارتسمت على وجهه ملامح الحزن .

ثم ما لبث أن اغرورت عيناه بالعبوات وهو يتناول
الصورة بين يديه .

علوته الذكريات للقيمة .

تفكر طفولة (أكرم) .. ومرحه وحلقه الذى كان
يشمله به .

وتمثلت أمامه غيره أخيه بسبب تفضيله له ،
وحرصه الدائم على تلبية كل احتياجاته .

ثم تذكر أن (أكرم) كان يخاف الماء يوما ، وأنه
كان يرفض دائما محاولات أخيه لتعليمه السباحة التي
برع فيها هذا الأخير ، وحصل من خلالها على جوائز
عديدة .

لقد كاد (أكرم) أن يشرف على الغرق حينما
سحبته الأمواج ذات يوم حينما كان يسبح في
(الإسكندرية) في أثناء الإجازة التي كانت تقضيها
الأميرة هناك .

وقد تركت هذه الحادثة أثرها في حياته .. فأصبح
يخشى أن ينفج بجسده إلى الماء حتى بالقرب من
الشاطئ .

وقد حاول أن يساعده على التغلب على ذلك .. لكنه
كان يرفض دائما .. في حين أخذ أخوه يغريه
بالمحاولة .. ويصطحبه معه إلى الحمام الذي يتدرب
فيه على السباحة لكي يتغلب على عقدة .

لكن الأب منعه من الاستمرار في الضغط على أخيه
أكثر مما يجب ..

فالعقدة قد تمكنت من الفتى إلى حد كبير ..

إلى أن جاء ذلك اليوم المشنوم حينما سافروا إلى
(الإسكندرية) لقضاء إجازة الصيف .

يومها رآه يلج على أخيه بأن يصحبه في ذلك
الزورق الذي استأجره ليخوض به إلى مسافة بعيدة
لدخل للبحر .

ورفض (أكرم) بشدة أن يستجيب لمطلب أخيه
الذي تحول إلحاحه إلى نوع من الشدة والقسوة غير
المبررة ..

مما جعل الأب يتدخل ويأمره بالتوقف عن الضغط
على أخيه في هذا الشأن ، وقال له وقد أغضبه
الأسلوب الذي يتعامل به معه :

- إذا أردت أن تلهو بهذا القارب فإذهب بمفردك ..
ولا شأن لك بأخيك .

لكنه أصر على أن يصحبه معه .. ربما لأنه كان
يضمّر في نفسه شيئاً لم يستطع أن يبيّنه في ذلك
الوقت .

فما لبث أن اصطحب معه (لكرم) في ذلك القارب في
رحلة ذهاب بلا عودة - لقد غرق (لكرم) .. أغرقه
أخوه أو على الأقل تركه يغرق دون أن يمد له يد
المساعدة .. منفذاً بذلك خطته الشريرة .



***** ٤٠ *****

٤- حنان .. وجفاء ..

غادر (لحمد) لسيارة التي ألقته إلى منزل والده في
لحد الأحياء الراقية من مدينة (المنصورة) .
حمل حقييته بعد أن نقد السائق أجره .. ثم توقف
للحظلات أمام الباب الخارجي للفيللا ، وقد بدا عليه
شيء من التردد .

ثم ما لبث أن دفع الباب وهو يتقدم إلى الداخل .
لكنه ما كاد أن يتقدم بضع خطوات إلى الداخل ،
حتى هزول إليه المسئول عن حراسة الفيللا وهو
يناديه قاعلاً :

- من أنت ؟ وإلى أين تذهب ؟

استدار إليه (لحمد) قاعلاً :

- ألا تعرفني يا عم (متولى) ؟

دفع الرجل النظرة في الشاب للوقوف أمامه .. ثم
ما لبث أن تهللت أسنانه وهو يقول :

***** ٤١ *****

- من ؟ أستاذ (أحمد) .

ابتسم (أحمد) قائلا :

- كيف حالك يا عم (متولى) ؟

قال الرجل وهو لا يصدق عينيه :

- بخير .. بخير يا بنى - تفضل .

لكنه ما لبث أن استوقفه وقد ارتسمت ملامح

الخوف فى وجهه وهو يقول :

- لكن .. لكن والدك بالداخل .

قال له (أحمد) وقد استرجت ابتسامته بتعير

حزين :

- نعم .. أعرف .. وهو يعرف أيضا هذه المرة

أتنى سأحضر إلى هنا .

تهللت أسارير الرجل مرة أخرى لدى سماعه ذلك

وهو يقول :

- حقاً ؟ إنن تفضل .. تفضل يا بنى لتتير منزلك ..

يا ألف نهار أبيض .

***** ٤٢ *****

طرق (أحمد) الباب ففتحت له الخادمة التى حاولت
أن تعبر عن فرحتها .

لكنه استوقفها قائلا :

- أين أمى ؟

فقلت له الخادمة :

- إنها فى حجرتها .. ستصر كثيراً لرؤيتك يا أستاذ
(أحمد) .

دخل (أحمد) إلى المنزل وقد أخذ يتأمله كما لو
كان يراه لأول مرة .

لقد أبعد عن هذا المنزل بقرار من والده منذ تسع
سنوات مضت .

ومن الغريب أنه برغم حبه لهذا المكان فى الماضى
وتعلقه الشديد به ، إلا أنه كان بحاجة إلى الابتعاد عنه
لبعض الوقت .. خاصة بعد وفاة أخيه .

لذا فقد وجد لقرار أبيه بإبعاده عن المنزل تجاوباً
فى نفسه .. وإن لم يكن يتمنى أن يكون إبعاده بمثل
هذه الطريقة التى حدثت منذ تسع سنوات .. وبهذا
الاتهام القامسى الذى ألصق به من جانب والده ، وتهد

***** ٤٣ *****

وهو يتأمل الصورة التي تجمع بين والده والدة
والمطقة على الجدار ، قليلاً لنفسه :

- كما أن تسع سنوات فترة طويلة بالنسبة لى لكى
أعمل كمجرم نفى عن هذا المكان .

حقاً إنه كان ينتهز الفرصة من أن آخر ليلتى إلى
هذا المنزل خلسة فى غياب أبيه ..

لكن تلك كان يحدث لساعات قليلة .. وكان الأمر
يقصر على مقابلة سريعة لأمه ، ثم يرحل على الفور
قبل أن يتبين الأب حقيقة الأمر .

كان حضوره إلى هنا لبعض ساعات ، متسللاً إلى
منزل أبيه كاللصوص ، أمراً شاقاً على نفسه .. وكان
يترك فى نفسه إحساساً بالألم والمرارة أكثر من حنينه
لرؤية أمه المريضة .. بعد أن شق عليها الذهاب إليه
فى القاهرة لزيارته لدى خاله .

لذا فضل ألا يأتى لما تخلفه هذه الزيارة من مشاعر
الئيمة .. فامتنع عن الحضور منذ سبعة أشهر تقريباً ..
برغم توصل أمه إليه فى الهاتف أن يأتى لزيارتها .

إبه لا يريد أن يأتى إلى منزل أبيه متسللاً كاللصوص ..

***** ٤٤ *****

ويرفض أن يعامل كمتهم .. خاصة وأنه يرى من
التهمة للمعموية إليه .

ولكنه لم يكن يستطيع ألا يأتى بعد أن علم بتدهور
حالة أمه للصحية على النحو الذى وصلت إليه ، وبعد
أن وافق والده على عودته أخيراً .. وهو الأمر الذى
قل ينتظره لسنوات طويلة .

وتسائل وهو واقف فى منتصف الردهة على هذا
النحو .. لم لا يتحرك فى هذا المنزل الذى تربي فيه
على حريته بالطريقة التى كان يمارسها من قبل ؟

ولم لا يحمل حقيقته بحثاً عن حجرته التى كان
يعيش فيها من قبل .. ثم يذهب إلى حجرة والدة
للأطمئنان عليها ؟

لماذا أصبح لديه شعور مبهم بأنه أصبح غريباً عن
هذا المنزل ؟ وبأنه لا يستطيع أن يتصرف ويتحرك
فيه على النحو الذى كان يفعله من قبل .

وتنهذ فى حزن قاتلاً :

- ربما لأن هذه هى الحقيقة بالفعل .. إن تسع

***** ٤٥ *****

سنوات فترة طويلة ، ولابد من فترة لكي يتمكن المرء من التألف مع هذه الجدران مرة أخرى .

وبينما هو فى حيرته وتكريته المريرة .. فتح باب إحدى الحجرات فجأة وظهر والده من خلفه .

حيث حذجه بنظرة كشفت عن أن بغضه له لم ينته بعد .

أحسن (أحمد) برهة شديدة حينما رأى أباه واقفاً أمامه فجأة .

إنها المرة الأولى التى يلتقيان فيها وجهاً لوجه منذ تسع سنوات مضت ، وإن كان قد رآه منذ علمين خلسة حينما حضر لرؤية والدته وعاد هو إلى المنزل فجأة .

لاحظتها نبيهته الخادمة بأن والده قد عاد إلى المنزل .. فأسرع ليختفى وراء باب إحدى الحجرات ، حيث رآه وهو يدخل إلى المنزل بقممته المديدة ومظهره الجاد .

لقد أحس لاحظتها بمزيج من الانفعالات تعسل فى نفسه كذلك التى يحسها الآن .

***** ٤٦ *****

فقد أحس بالخوف والرغبة من هذا الأب الذى كان صارماً معه دائماً ، ومنذ طفولته ، برغم أن معاملته لأخيه الصغير كانت تختلف عن تلك كثيراً .

وأحسن بالامتثال وبرغبة جارفة للانذفاع نحوه ، واحتضانه بعد أن اضطر لفراقه كل هذه السنين .

لكنه لم يستطع أن يفعل ذلك .. كما لا يستطيع أن يفعله الآن ، بل إن إحساسه بالخوف والرغبة تضاعف فى هذه اللحظة ..

حينما تقابلا وجهاً لوجه ورأى تلك للنظرة فى عينيه .

أخذ كل منهما يتفرس فى وجه الآخر .. وإن بدت نظرات الأب أكثر حدة وجموداً .. فى حين كانت نظرات الابن على استحياء .

وبدا أن كليهما يحاول أن يتبين ما أحدثته تلك السنون التى اختلفا فيها من اختلاف فى وجه الآخر .
لقد بدا الابن أكثر نضجاً وأصبحت ملامحه أكثر شبهاً بأبيه .

***** ٤٧ *****

بينما زحف الضعف على وجه الأب فبدأ أكثر تقلصاً
فى العمر مما هو عليه بالفعل .

ربما لأن فجيعة فى وفاة ابنه - الذى كان يحبه - قد
عجلت بشيخوخته ، وتركت آثارها على وجهه بشكل
واضح .

وتقلبت عاطفته تجاه أبيه على خوفه منه ..
فأحزنه أن يرى هذا الشحوب وتلك للتجاعيد التى
زحفت إلى وجهه . الذى كان يمتلئ صحة ونضارة
وحياة تضارع من هم فى عقوان الشباب .

تقدم نحوه ليمد له يده مصافحاً .. لكن الأب تجاهل
اليد الممدودة إليه قائلًا له بجفاء :

- يجب أن تعرف أنه لولا مرض والدتك .. ما كان
يمكن أن أسمع لك بدخول هذا البيت مرة أخرى .

صمت الابن دون أن يقول شيئاً .. لقد توقع أن
يلقى شيئاً من الجفاء لدى عودته .. لكنه ظن أن
فراق السنين ربما خفف بعض الشيء من قسوة هذا
الجفاء .. ويبدو أنه كان واهماً فى هذا الظن أيضاً .

ظل جليماً فى مكانه دون أن يدرك ما الذى يتعين
عليه أن يقوله أو يفعل فى هذه اللحظة !

لقد أصيب بارتباك أعجزه عن التصرف أو التفكير
وهو يلقي تلك المقابلة الجافة - وهذه النظرة العدائية فى
عينى أبيه .. برغم أنه توقع ذلك وحاول أن يعد نفسه
له .

ولقد من ارتبكاه وجموده سماعه لصوت أمه التى
غادرت حجرتها لدى معرفتها بعودة ابنها للمنزل ..
وأخذت تتألم من فوق درجات سلم الطابق العلوى
مرودة :

- (أحمد) - ابنى !

اندفع (أحمد) نحوها .. وقد أنست رؤيته لأمه
وسماعه لصوتها قسوة الأب وجفاء اللقاء .

وتلقاها بين ذراعيه فى حنان قائلًا :

- أمى .. ألف سلامة لك يا أمى .. حمداً لله على
سلامتك .

تعطقت الأم بكتفه فى فرحة غامرة وهى تقول :

- حمداً لله على سلامتك أنت يا بنى .. وعودتك إلى منزلك .

ثم استطردت قليلة فى عتاب :

- هل هانت عليك أمك لتغيب عنها كل هذه للفترة ؟
قبل وجنتيها ورأسها قائلاً :

- سامحيني يا أمى .. لم أكن أعرف شيئاً عن الأرملة المرضية التى مررت بها أخيراً .

قللت له وهى تتكى على ذراعها لتهبط درجات السلم :

- هل كان لابد أن يشتد بهى المرض أو أموت حتى تأتى لتراينى ؟

قال (أحمد) سريعاً :

- حفظك الله يا أمى .. لكنك تعرفين الظروف .

قللت وهى تنظر إليه بحنان وسعادة :

- الحمد لله .. لقد تغيرت هذه الظروف منذ الآن
مستبقى معنا وسيفتح أبوابك معك صفحة جديدة .

نظر إلى أبيه الذى كان لا يزال واقفاً مكانه وهو يرمقه بتلك النظرة الدالية قائلاً لنفسه :

- لا أظن أن هذا يمكن أن يحدث بأى حال من الأحوال .

بينما أريدت الأم وهى تتوجه بالحديث إلى زوجها قليلة :

- أليس كذلك يا (عبد الراضى) ؟

لكنه أدار لهما ظهره متجهاً إلى باب المنزل وهو يقول :

- أنا خارج .. لدى عمل يتعين على إنجازة .

ثم أغلق الباب وراءه بغف وهو يغادر الفيلا .

- ابتسمت الأم قليلة لابنها فى حنان وهى تحاول أن تخفف من جفاء هذا التصرف من جانب زوجها :

- اعنره يا بنى .. فأت تعرف أبك .. إنه بحاجة لبعض الوقت ، حتى تعود الأمور إلى مجراها الطبيعى .

تهاد الابن قائلاً :

- لا أظن أنه سيكون لديه أى استعداد ليصدق
براءتى .. ويفخر لى ما حدث .

قالت الأم وهى تخشى أن يؤدى هذا الشعور إلى
ابتعاد الابن مرة أخرى :

- صدقتى يا بنى .. لقد كان يفتقدك مثلى تمامًا -
لكنه يكبر .

قال فى سخرية مريرة :

- لا أظن أنه لفتقدنى قط .

- أنت مخطئ فى ظنك هذا .. ومادم قد طلب منك
أن تعود إلى المنزل فلا بد أنه أحس بأنه أخطأ فى
حقك .. وأصبح لديه استعداد لفتح صفحة جديدة معك .

قال وما زالت نبرة المرارة فى صوته :

- لقد وافق على عودتى إلى هذا المنزل بناء على
طلبك وإلحاحك .. ولولا ذلك ما عدت إلى هنا .. هو
بنفسه أوضح لى ذلك فى اللحظة الأولى التى التقينا
فيها .. حتى تكون الأمور واضحة أمامى لتصرف وفقًا
لذلك .

***** ٥٢ *****

قالت الأم محاولة للتخفيف عنه :

- يا بنى .. إن أبك

لكنه قطعها بوفر عليها جهد ترضيته :

- لا تشغلى نفسك بذلك يا أمى .. على أية حال لقد
عدت من أجلك .. وسأبقى فى هذا المنزل من أجلك .

قالت وفى صوتها نبرة توسل :

- حقًا يا بنى !!

ساعدها على الجلوس بجواره على الأريكة التى
تتوسط للدعشة ، وهو يرسم ابتسامة كبيرة على وجهه
لترضيتها :

- بالطبع يا ست الكل .. المهم طمنينى على صحتك .

قالت الأم وهى تزداد التصاقًا بابنها كأنها تريد أن
تعوض حرمان ابتعاده عنها كل هذه السنين :

- أنا بخير .. أشعر أنني قد استعدت صحتى كاملة
بعد عودتك إلى هذا المنزل وروبتك لأمى .

وتطلعت إليه وهى ترفق قلقة :

- أخبرنى .. ما هى أخبارك طوال الفترة الماضية ؟

***** ٥٣ *****

أريد منك أن تخبرني عن أحوالك وعن كل شيء بالتفصيل .

ولكن لا .. أنتظر .. لا بد أنك متعب بعد هذا السفر الطويل .. اصعد إلى حجرتك أولاً لتحصل على حمام دافئ .. ثم تبديل ثيابك .. حتى أنتهى من إعداد الغداء لك .. وبعدها نجلس لنحدث معاً .

- لا تجهنى نفسك من أجلى .. إذا أحسست بالجوع سأطلب من الخادمة أن تعد لى الطعام .
قالت الأم :

- قلت لك إننى قد استرددت صحتى حينما رأيته ..
لقد كنت متشوقة لهذه اللحظة التى تعود فيها إلى المنزل ،
وأعد لك الطعام بنفسى كما كنت أفعل من قبل -
أما زلت تذكر ذلك يا (أحمد) ؟
ابتسم قليلاً لها :

- وكيف يمكننى أن أنسى يا أمى ؟ لقد كنت تحومين حولى أنا و (أكرم) حتى ننتهى من تناول طعامنا ..
كالمظير الذى يحوم حول صفاره حتى يتأكد من إشباعهم .
ضحكت الأم :

- لا أظن أننى سأستطيع أن أدور حولك كما كنت أفعل فى الماضى فالمرض لا يسمح لى بذلك الآن .

لكننى يمكننى أن أرافقك وأنت تجلس أمامى على المائدة ، لأراك وأنت تتذوق الطعام بشهيتك القديمة ، خاصة للحمام المحشو الذى كنت تفضله دائماً .

نظر إليها بالزعاج قليلاً :

- لا تقولى إنك أرهقت نفسك بإعداد الطعام لأجلى .
همست قليلة وكأنها تحاول أن تأمنه على سر لا تريد منه أن يبوح به لأحد :

- اخفض صوتك .. وإياك أن تخبر أباك بذلك .

- ولكن ظروفك الصحية لا تسمح لك بأن

قاطعه قائلة :

- ليس أحب لى من أن أعد الطعام لابنى بنفسى ..
صهقى يا بنى ، إننى أشعر بأننى أسترده صحتى تدريجياً منذ أن علمت بعونتك .

اتحنى الابن على يد أمه ليقبلها فى حنان متبادل .

٥- الأختان ..

نظر (نسان) إلى ابنته معقباً وهو يقول :

- (هالة) .. ما الذى أخرجك كل هذا الوقت ؟ لقد
قلقت عليك .

- لقد اضطررت لتوصيل إحدى زميلاتي إلى المنزل
بعد انتهاء المحاضرة الأخيرة فى الكلية .. فقد أصيبت
ببعض التعب - فنقلتها إلى سيارتى حيث أمت بتوصيلها
إلى منزلها .

سألها الأب قائلًا :

- وكيف حالها الآن ؟

- بخير .. يبدو أن التعب الذى أصابها كان بسبب
الإرهاق .

ابتسم الأب قائلًا :

- ألا تكفين عن تقديم الخدمات للآخرين ؟

ضحكت (هالة) وهى تجلس إلى جوار أبيها قائلة :

***** ٥٧ *****

بينما أخفت هى عبرة ترقفت فى عينيها قائلة له :

- هيا اصعد إلى غرفتك وبديل ثيابك .. ريثما أعد
الطعام لك .

نظر (أحمد) إلى الطابق العلوى وقد أحس بحنين
شديد لتلك الغرفة التى كانت تجاور غرفة أخيه ..
والتي شهدت سنوات صباه الأولى بكل مرحها
وشقاوتها قبل أن يبدد هذا الحادث الأليم كل شيء .

وتوقف للحظة أمام باب الحجرة قبل أن يفتحها
وهو يحمل حقيبتة ، لكنه تراجع عن ذلك واقترب من
حجرة أخيه المتوفى ، وقد وضع يده على مقبضها
وهم بفتحها .

لكن شيئاً ما جعله يتردد ويحجم عن ذلك .. فأسرع
بالابتعاد ليدلف إلى حجرته التى وجدها على ما كانت
عليه من قبل .. فأعادت إليه ذكريات حياته القديمة .

***** ٥٦ *****

- ما استحق أن يعيش من عاش لنفسه يا أبى ..
لقد علمتنا أنت ذلك .

نظر إليها الأب بإعجاب قائلاً :

- وأنا سعيد لأننى أراك تملسين إلى عمل الخير
وخدمة الآخرين هكذا يا بنيتى - بارك الله فيك
وأعنتك على مساعدة الآخرين .

سألته (هالة) بفضول قائلة :

- هل حقاً ما سمعته يا أبى ؟

- ما الذى سمعته ؟

- هل عاد ابن الحاج (عبد الراضى) إلى منزل
أبيه ؟

- نعم .. لقد سمعت ذلك .

تهللت أسارير وجهها وهى تقول :

- إذن .. فقد وافق أخيراً على أن يعود ابنه إلى
المنزل .

- لظن أنه قد وافق على ذلك مضطراً .. فلولاً مرض

***** ٥٨ *****

زوجته وما فكرته لى عن تحذيرات الأطباء له فى
المستشفى .. ما كان قد قبل عودته .

- معك حق يا أبى - إن عم (عبد الراضى) عنيد
وقلس بأكثر مما يجب .

- لقد كان عنيداً دائماً .. فهكذا عرفته منذ سنوات
طويلة - لكنه ليس قاسياً على النحو الذى تظنينه .
- إنك تقول ذلك لأنك صديقه .

- بل لأننى أعرفه جيداً .. واللبل على ذلك معاملته
لزوجته وارتباطه الوثيق بها .

- أشعر أحياناً بأنه يعاملها بطريقة « سى السيد » .
ابتسم الأب قائلاً :

- أنت مخطئة يا بنيتى .. إنه يعاملها بحب وتقدير
يندر وجوده فى هذا الزمان .. لكن تمسكه بأرائه إلى
حد الغد وشخصيته القوية هى التى تظهره بذلك
المظهر المجافى للحقيقة .

كما أنه كان يحب ابنه الراحل ويدلله دائماً .. ولم
أره يقسو عليه قط ..

***** ٥٩ *****

- لكنه كان قسياً بالنسبة لابنه الكبير .

- لقد كُتبت فجيعة في موت ابنه للصغير كبيرة ..
وهو يعتبر ابنه الأكبر مسئولاً عن موته .

- لكنك لا تصدق ذلك يا أبى .. أليس كذلك ؟

قال لها الأب وعلى وجهه علامات الحيرة :

- والله يا بنتى .. لا أدري .. ما هى الحقيقة !!
للبعض يؤكد أنه هو المسئول عن موت أخيه الصغير -
والبعض الآخر ينفي ذلك .

- لكن الشرطة والنيابة برآه .. كما أن والدته
لا تصدق أنه المسئول عن وفاة أخيه .

- لكن ملائسات الحادث .. وإصرار الابن على
اصطحاب أخيه معه فى تلك الرحلة البحرية .. برغم
رفض الأخ ومعارضة الأب .

وتفضيل الأب للأخ الصغير عن الكبير .. واستئثاره
له بمعاملة خاصة ، ربما جعل صدر ابنه الكبير
ينطوى على قدر من الغيرة فأضمر له فى نفسه أمراً .
قالت له ابنته معارضة :

- كلا يا أبى .. لا أظن أنك تصدق ذلك .. فذلك
الشاب ليس من النوع الذى يمكن أن ينجرف إلى مثل
هذا التصرف القبيح .

لا يمكن أن يصل به الأمر إلى حد قتل أخيه بسبب
غيرته من معاملة أبيه لخاصة له .

نظر الأب إلى ابنه بدهشة قائلاً :

- وكيف يمكنك أن تحكى على ذلك ؟

- هل نسيت أننا عرفنا (أحمد) شاباً وديعاً دمث
للخلق ؟

لقد كنا نتردد عليهم دائماً قبل وفاة أمى وبعد
وفاتها .. كما كان يتردد علينا هو وأخوه - وكنت دائماً
معجبة به وتشيد بأخلاقه .

هل يمكن لشاب كهذا أن يقتل أخاه بدافع الحقد
والغيرة ؟

- والله يا بنتى إن معك حق .. ولكن الظروف التى
أحاطت بهذه الحادثة تشير للشك .

- اللهم فله عدا إلى المنزل - وهذا شيء سييسر
طنط (نوال) ويدخل البهجة على نفسها ويعجل
بشفاتها .

هز الأب رأسه قتلاً :

- نعم - لقد مرت هذه السيدة بفترة طويلة من
الأحزان ، وقسست كثيراً بعد وفاة ابنها الصغير ،
ورحيل الابن الكبير عن المنزل .. حتى هاجمها
المرض .. وترك آثاره في قلبها اللطيل .

- أتمنى أن تسترد صحتها بعد عودة ابنها .. فلنا
أحب هذه السيدة كثيراً .. فهي حنون للغاية وتعاملني
كما لو كنت ابنة لها .

قال الأب وعلى وجهه علامات الأسى :

- لقد كان كل منكما بحاجة إلى الآخر .. خاصة
خلال السنين الماضية .

هي .. كانت تجد فيك بعض السلوى بعد فقدانها
لولديها ، وأنت كنت ترين فيها الأم التي حرمت منها
مبكراً - وهذا جعل للرابطة بينكما قوة .

***** ٦٣ *****

- إنني لا أشك في أنه ارتكب هذا الجرم لحظة واحدة .

- على أية حال أرجو أن تستقر الأمور بينه وبين
أبيه ، وأن ينسى الجميع هذه المأساة التي اكتوت
بنارها هذه الأسرة ، وأظن أن تسع سنوات تعد فترة
كافية لتخمد هذه النيران ، وتتطوى الأحزان .

ابتسمت (هالة) وهي تشتد بأفكارها قتلًا :

- ياه ! تسع سنوات ! إنها فترة طويلة بالفعل ..
ترى كيف يبدو (أحمد) الآن ؟ لا بد أنه تغير كثيراً
عن ذلك الصبي الذي كنا نعرفه .

ابتسم الأب وهو ينظر إليها قتلًا :

- إن هذا ينطبق عليك أنت أيضاً .

قالت (هالة) وهي مازالت شاردة بأفكارها :

- ترى .. هل اختلف كثيراً عن تلك للصورة التي
مازالت عالقة بتفكيرى ؟

- لا بد .. فأنت أيضاً اختلفت كثيراً عن الصبية ذات
الثلاثة عشر عاماً حينما رحل عن منزل أبيه .

قالت وقد ارتسمت ملامح الارتياح على وجهها :

***** ٦٢ *****

- معك حق يا أبى .. إن بيننا رابطة قوية للغاية .

تأمل الأب ابنته بإعجاب مقتن بحنان جارف فقلأ :

- كم كنت أتمنى لو كانت أختك (سمح) لديها نفس طباعك وأخلاقك !

- لا تظلمها يا أبى .. فالظروف التى مرت بها -

قال لها معارضاً :

- ظروف ؟ أية ظروف ؟ تلك للظروف التى تتحدثين عنها مررتما بها أنتما الاثنان .. لكنها لم تغير شيئاً مما عهدته فيك منذ الصغر .

أما هى فلا أدرى .. ما الذى يجعلها مختلفة عنك هكذا ؟ لماذا تتصرف أحياناً بمثل هذا الطيش والاندفاع .. وبكل تلك الأنانية ؟ ولماذا لا تكون مثلك ؟

- هل فعلت شيئاً أغضبك ؟

قال الأب منفعلأ :

- شيء ؟ بل قولى أشياء ! لقد كتبت مخطوبة لشباب

***** ٦٤ *****

ممتاز له سمعة طيبة فى المنصورة ، ويحصل فى وظيفة مرموقة ، ومن أسرة لها مكانتها .

وبرغم اقتناعى التام به وترحيبى الكبير بأن يكون هذا الشاب زوجاً لابنتى .. فإتنى لم أحاول أن يكون لرابى هذا أى تأثير على اختيارها .. ولم أفكر للحظة واحدة فى الضغط عليها من أجل أن توافق عليه .

وإنما تركت لها حرية الاختيار كاملة .. وطلبت منها أن تأخذ الوقت الكافى لتقرر ما إذا كانت موافقة على الارتباط به أم لا .

- نعم هذا هو ما حدث .. وهذا هو أسلوبك دائماً فى التعامل معنا .. فقد كنت دائماً ومازلت أباً ديمقراطياً .. ولم تحاول قط أن تفرض رأيك علينا .. وأنا أحترم فيك ذلك يا أبى .

- إذن .. فأنت تشهدين أتنى لم أمارس أى ضغط عليها .. ولأنها وافقت على الارتباط بالذكور (سمير) بكامل إرادتها .. وبرضاها التام على هذه الخطبة .

- بل كانت سعيدة بارتباطها به .

- حسن .. وما الذى حدث بعد ذلك ؟ شهر واحد فقط .. بعدها أعلنت مسخطها على هذا الارتباط .. وأصررت على إنهاء هذه الخطبة دون سبب واضح أو مقنع .

وبرغم تمسك الشاب بها .. وبذل كل الجهد فى سبيل إرضائها .. إلا أنها عاملته أسوأ معاملة .. ودفعته دفعا للتراجع عن الزواج بها .

قالت (هالة) بأسف !

- نعم .. لقد كان الدكتور (سمير) شابا ممتازا .. وكان من المؤسف إنهاء هذا الارتباط .

لقد حاولت أن أثنيها عن ذلك .. لكنها مصرة على عدم إتمام الزواج .

- وبرغم ذلك .. امتثلت لإرادتها .. ولم أحاول الضغط عليها أيضا لكى تتراجع عن موقفها من هذه الزيجة التى كنت أتمناها لها .

قلت إنها حياتها .. ومن حقها أن تختار ما تريده .. وأن تتراجع عما ترفضه .

بعدها عرفت أنها ارتبطت بعلاقة عاطفية بزميل لها فى العمل .. وأن هذا الشخص كان أحد العوامل التى دفعتها إلى إنهاء خطبتها .

وبرغم أن هذا تصرف غير أخلاقى .. وبرغم أنها أخفت عنى تلك الأمر ، إلا أننى لم أحاسبها على تصرفها هذا وطلبت منها أن تقدم لى تفسيراً لهذه العلاقة .. فأخبرتني أن هذا الشاب يريد الارتباط بها .. وأنه سيتقدم لخطبتها بعد عودة أبيه من السفر فى تلك الدولة العربية التى يعمل بها .. وأنها تأمل فى أن أوافق عليه .

ولم تكن موافقا عليه .. لأنه لم يكن الشاب الذى أتمناه زوجا لابنتى .

لكننى امتثلت لرغبتها .. ولم أعارض فى أن يتقدم لخطبتها .. وقلت هذه حياتها .. ومن حقها أن تختار ما تريده .

كل ما طلبته منها أن تحافظ على التقاليد التى يتعين مراعاتها فى مدينة صغيرة كالممنصورة .. وأن تقتصر لقاءاتها مع ذلك الشاب داخل نطاق العمل ريثما تتم خطبته عليها بالفعل .

كما طلبت منها أن تتفق معه على موعد محدد للحضور إلى المنزل مع والده .. وطلب الزواج منها رسميًا .

لكنها لم تلتزم بشيء مما طلبته منها .. فقد تعددت اللقاءات بينها وبين ذلك الشاب خارج العمل دون مراعاة لأية اعتبارات .

كما أنه لم يلتزم بالموعد الذي حدده لطلب يدها بحجة أن والده لم يعد من السفر بعد .

وأخيرًا جاءت لتخبرني بأنها قررت إنهاء هذه العلاقة .. وأنها لا تريد هذه الخطيئة .

- ربما لأنها وجدتته غير جاد في الارتباط بها .

- بالعكس .. لقد علمت أن والده قد عاد من السفر وأنه أراد تحديد موعد لمقابلتي وطلب يدها بالفعل .

لكن (الهاتم) وجدت نفسها فجأة مترددة بشأن الزواج منه .. وأخبرتني بأنها غيرت رأيها بشأن هذا الارتباط .

بعد أن كانت مذهلة في حبه .. وبعد أن تركت خطيبها الأول من أجله ..

وبعد أن أساعت إلى سمعتها بتعدد لقاءاتها معه خارج نطاق العمل .. تأتي اليوم لتقول لي إنها قد غيرت رأيها .. فيماذا تسمين ذلك ؟

تلعثمت (هالة) وهي لا تجد ما تدافع به عن أختها .. فهي تعرفها جيدًا .. وتعرف أن ما يقوله أبوها صحيح ..

إنها فتاة هوائية ومندفة .. وعواطفها متقلبة .. وقد حاولت أن تتصالحها كثيرًا .. لكنها لم تجد أي استجابة من جانبها :

- أهي .. إنها .. ربما ...

قال الأب محتدًا وهو يقطعها :

- إنها بحاجة لشيء من الحزم والشدّة .. ومع الأسف كان يتعين على أن استخدمهما معها من البداية .. لإصلاح تصرفاتها المعوجة ، لكنني لم أفعل . ووضع يده على كتف ابنته قائلًا :

- قمت تعرفين أنني لم أكن قط لئيًا مزمعًا .. لكن من الممكن أن أكون كذلك لو أردت .. ولو لم ينصلح حالها .

بالأمن عالت إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل .. بدعوى أنها كانت تحضر حفل عيد ميلاد إحدى صديقتها .

وعندما ناقشتها بشأن تأخيرها .. تخرطت في الكلام .. والحديث عن أمها المتوفاة - وحرمانها من الحنان .. إلى آخر تلك التمثيلية التي اعتادت أن تستخدمها للتأثير على .

لكنني منعت مشاهدة هذه التمثيلية .. ولمست معتدًا للتأثر بها مرة أخرى .

أذهبي إليها وأخبريها بأنه يتعين عليها منذ الآن أن تحسن التصرف ..

وإلا كان لي معها شأن آخر !



***** ٧٠ *****

٦ - لست مستهترة ..

سمعت (هالة) صوت موسيقا صاخبة تنبعث من حجرة أختها .. طرقت الباب .. لكنها لم تتلق إجابة .. ففتحته وولفت إلى الداخل .

حيث رأت أختها وهي ترقص وتتمايل على أنغام الموسيقى .

فأسرعت بإغلاق الباب خلفها .. وإغلاق جهاز التسجيل أيضًا .

نظرت إليها أختها بضيق قليلة :

- ما هذا ؟ لماذا أغلقت جهاز التسجيل ؟

سألتها (هالة) قليلة :

- ما الذي تظنينه ؟

فألت لها بلامبالاة وهي تضغط مرة أخرى على زر التشغيل في جهاز التسجيل :

- كما ترين .. فأكره على إحدى الرقصات الجديدة ..

***** ٧١ *****

علت (هالة) لإغلاق الجهاز مرة أخرى :

- وهل هذا وقت للرقص والموسيقى ؟

وضعت (سماح) يدها فى خصرها قائلة :

- هل صدر قرار بتحريم الرقص والموسيقى فى

هذا التوقيت ؟

ثم ما شأنك أنت ؟

- على الأقل اعملى حساباً لوجود أبك - واخفضى

صوت هذه الموسيقى الصاخبة .

قالت (سماح) وقد علنت إلى لا مبالاتها :

- هل هذه هى المشكلة ؟

وأوصلت الأسلاك الخاصة بالسماعات التى وضعتها

حول أذنيها بالجهاز ، لتستمع إلى الموسيقى وحدها

وهى تواصل الرقص .

علت (هالة) لإغلاق الجهاز مرة أخرى وهى

تصيح فى وجهها قائلة :

- كفاك استهتاراً ولا مبالاة ! أريد أن أتحدث إليك .

***** ٧٢ *****

نزعت (سماح) السماعات من فوق أذنيها قائلة
بامتعاض :

- ماذا تريدین ؟

- أريد أن يكون لديك بعض الإحساس بالمسئولية ..

على الأقل تجاه نفسك .

نظرت (سماح) إلى أختها بغضب قائلة :

- ما هذا الذى تقولينه ؟ أتقولين إننى ليس لى

إحساس بالمسئولية ؟

- لو كان لديك إحساس حقيقى بالمسئولية ما كنت

قد كذبت على أبك بالأمس وأخبرته أنك ذهبت

لحضور عيد ميلاد إحدى صديقاتك .. بينما الحقيقة

هى أنك خرجت مع شاب تعرفته منذ يومين فقط فى

النادى .. وسهرت معه فى (كازينو النخيل) إلى هذا

الوقت المتأخر من الليل !

ارتبكت (سماح) لدى سماعها ذلك .. فقالت لأختها

بصوت مضطرب :

- كيف عرفت ذلك ؟

***** ٧٣ *****

- هناك أشياء لا يمكن إخفاؤها في مدينة صغيرة
كمدينتنا .

لقد رأك شقيق إحدى صديقاتي وصديقتي هذه
أخبرتني بما سمعته من شقيقها .. وقد رجوتها
ألا تخبر أحداً بذلك .. ووعيتني أن تفعل .. لكن من
بدري !!

ألم تفكري .. كيف يكون موقفك إذا ما عرف أبوك
بذلك ؟ وبأنك قد كذبت عليه !!

ألم تفكري فيما يمكن أن تكون عليه صورة أبنينا ؟
الرجل الذي عاش حياته محترماً وإذا سمعة طيبة بين
الجميع هنا ، عندما يقال إن ابنته الكبرى اعتادت
الخروج مع الشبان من وراء ظهره ، وإنها قد
أصبحت مثلاً للفئات المستهترة .

صاحبت (سماح) في وجه أختها بحدة قفلة :

- كيف تجرئين على التحدث إليّ هكذا ؟ هل نسيت
أنتي أختك الكبرى ؟!

***** ٧٤ *****

- مع الأسف كنت أتمنى أن تكوني قدوة لي في
تصرفاتك بدلاً من أن أضطر لأن ألفت نظرك لتصرفات
ك هذه .

- أية تصرفات هذه التي تتحدثين عنها ؟ ما الخطأ
إذا كنت قد خرجت للنزهة مع شاب أباه له ويهائلي
الإعجاب .

إننا نحيا في مدينة ولينا في قرية صغيرة من قرى
(المنصورة) ، حتى يكون أمر كهذا مجالاً للأحداث
والمناقشات .

كما أنني فتاة ناضجة ومتطمة ، وأعمل في وظيفة
محترمة أختلط فيها بزملاء عديدين .

- وهل من المفترض أن تتلقى بهؤلاء للزملاء في
الكازينوهات ؟

قلت (سماح) في تحد :

- نعم .. من المفترض أن يحدث ذلك .. ما دمت
لا أفعل شيئاً أخاف أو أخجل منه ، فنحن في
التسعينات ولينا في العشرينات من هذا القرن .

***** ٧٥ *****

- إذا كنت هذه هي نظرتك للتسعينات فأنت مخطئة .

- إذن استمرى أنت في التمسك بأفكارك العقيمة
ولا تتدخل في شأني .

- إن أباك غاضب منك .

عقدت (سماح) ذراعها أمام صدرها قائلة :

- آه .. قولي إذن إنكما تحدثتما معا بشأني ، حيث
مثلت أمامه دور الفتاة الطيبة البريلة ، وصورتني
أمامه في دور الفتاة . المستهترة الشريرة .. أليس
كذلك ؟

قالت (هالة) بهدوء :

- إنه قلق بشأنك ويريد أن يطمئن عليك .

- لا يوجد ما يدعو للقلق .. إنني بخير كما ترى .

اقتربت (هالة) من أختها لتضع يدها على كتفها
قائلة :

- (سماح) أنت أختي .. لذا فبئني لا أستطيع أن
أمنع نفسي من الاهتمام بك .. وأنا أيضا قلقة بشأنك .

***** ٧ *****

قالت (سماح) منقطعة :

- بئني لا أدرى .. ما الذي يدعو إلى كل هذا القلق
من أجلتي ؟ ولماذا لا تهتمين بنفسك بدلاً من أن
تتشغلي بي ؟

- لأنك لا تعرفين مصلحة نفسك .

نظرت إليها (سماح) قائلة بسخرية :

- وأنت التي ستعرفينني ما هي مصلحتي ؟

- لماذا رفضت الاستمرار في الارتباط بالدكتور
(سمير) ؟

- لأنني وجنته غير مناسب لي .

- و (مجدى) ؟

- هو الآخر لم يكن مناسباً لي .

- لكنك أنت التي اخترته .

- لقد اكتشفت فيما بعد أنني كنت مخطئة .

- وهذا الذي ذهبت معه إلى الكازينو .. هل تجدينه

***** ٧٧ *****

مناسباً لك الآن .. ثم تكتشفين أنه لم يعد كذلك
فيما بعد ؟ ثم يأتي الذي يليه .. والذي يليه .. إلى أن
تمر بك السنون دون أن تجدى ذلك الشخص المناسب
الذي تبحثين عنه - وكل ذلك على حساب عمرك
وسمعتك .

- إذا كنت تخشين أن يؤثر ذلك عليك وعلى مستقبلك
يمكنك أن تتبرني من أخوتك لي - ويمكن لأبي أن
يفعل ذلك أيضاً إذا كان يرى أنني لم أعد أهلاً للثقة ..
وأنني لا أستحق أن أكون ابنته .

قالت (هالة) وقد تأثرت بما سمعته من أختها :
- إنه لم يفقد ثقته بك كما تظنين .

صاحت (سماح) في وجه أختها قائلة :
- إذن .. ما معنى هذا الكلام ؟ وما معنى هذه
المحاضرة التي تلقينها علي ؟

- (سماح) .. إنني ...

لكنها قاطعتها بأفعال قائلة :

- اصمتي ! لا أريد أن أسمع منك كلمة أخرى !

ثم تخرطت في بكاء حار .. فتدفعته نحوها أختها
لتلتقاهما بين ذراعيها .. حيث ألقت (سماح) برأسها
على كتفها .. وهي تنتحب قائلة :

- أنت مخونة يا (هالة) فيما تظنينه بي ، وكذلك
أبي .. فأنا لست على هذه الدرجة من السوء التي
تتصوراتها ..

لست بالفتاة المستهترّة أو الطائشة كما تعتقدن ..
لقد أحببت (مجدى) .. إنه الشخص الوحيد الذي
أحببته .. لكنه تخلى عني .. وأبعدني عن قلبه وحقيقته .

نعم .. يا (هالة) .. هو الذي تراجع عن ارتباطه
بي بعد أن ضحيت بزواجي من (سمير) لأجله .

لقد اكتشفت فيما بعد أن الأمر لم يكن ينطوى على
حب حقيقي كما تصورت ، لكنه كان يتلاعب بعواطفى
نحوه .

لم أكن بالنسبة له سوى لعبة يتسلّى بها ، وعندما
ملّ الدمية التي كان يلعب بها .. أبعدها عنه واتجه
للبحث عن لعبة أخرى .

هذه هي الحقيقة .. لقد تراجع (مجدى) عن وعده لى ورفض الارتباط بى برغم أننى أحبته .. ولم أحب سواه .

وكبريائى منعى من الاعتراف بهذه الحقيقة لك أو لأبى .. فضلت أن يكون الرفض والتراجع أمامكما من جانبى أنا .. وليس من جانبى .. فضلت أن أظهر أمامكما بمظهر الفتاة المتقلبة هوائية المشاعر بدلا من أكون الفتاة المخدوعة .

واستطردت قائلة وهى تجهش بالبكاء :

- أن تغضبا منى أفضل بالنسبة لى من أن تشفقا على أو ترثيا لى .

ضمت (هالة) أختها إلى صدرها وهى تمسح على شعرها فى تعاطف قائلة :

- الأمر لا يستحق الشفقة أو الرثاء يا (سماح) - كل ما هنالك أنك أخطأت اختيار الشخص .

- وقد دفعت ثمن هذا الخطأ من مشاعرى وأعصابى .. كم لجأت إلى غرفتى وأغلقتها على لأبى

بالساعات .. وكم بذلت من جهد لأخفى عنك وعن أبى عيرائى .

وكم تحملت من لوم وتأتب منكما ومن نفسى ، دون أن أجد من أبوح له بآلام جرحى .

ضمتها (هالة) إلى صدرها بقوة وقد تأثرت بشدة ، حتى إن العبرات تساقطت من عينيها أيضا وهى تقول لها :

- يا حبيبتى يا (سماح) !

نظرت (سماح) إلى أختها قائلة :

- إياك أن تغضى بأختك أى ظن مسيئ .. إن كل ما أفعله هو أننى أحاول أن أبحث لنفسى عن وسيلة للنسيان .. وربما وجدتلى فتاة أخرى بعد أن تلتئم جراح قلبى .. وأتسمى حبيب لـ (مجدى) ..



٧- مشاعر أبي ..

تمدد (أحمد) فى قرائشه وقد أسند ظهره إلى
الوسادة وهو يحدق فى الباب المغلق ساهماً ..

لقد مضى أسبوع منذ عودته إلى هذا المنزل - لكنه
أصبح يشعر بأن وجوده لم يعد له معنى .. أو هدف .

إن والده ما زال على موقفه منه .. كان يأمل أن
تكون موافقته على عودته بداية جديدة لكلهما ..

بداية بتسيان معها الماضى وجراحه الأليمة -
وبيدأن مغاً فى إعادة الأمور إلى طبيعتها .. وإلى
ما كانت عليه .

كان يأمل فى أن يستعيد دفء ومشاعر الأسرة التى
حرم منها بعد إجباره على مغادرة هذا المنزل .

لكنه لم يحظ بهذا الشعور منذ عودته .
حقاً إن أمه تغمره بحنانها .. وهى الوحيدة التى
تتعاطف معه وتصدق أنه برىء من ذنب وفاة أخيه ..

***** ٨٢ *****

لكن معاملة أبيه له تجعلها متوترة دائماً .. وهى تبذل
الكثير من الجهد لكى تقنعه بأن أباه لا يكرهه .. وأن
الأمور مستصلحة حقاً .. لتعود العلاقة بينهما إلى
سيرتها الأولى .

كما أنها تحاول أن تخفى عنه حزنها لهذه الطريقة
التي يتعامل بها أبوه معه .. على حساب أعصابها
وتفاعلاتها .

وهو بدوره يحاول أن يهون عليها الأمر ..
ويظهر بأن تلك للتصرفات لا تؤثر فيه .. بل إنه
أحياناً لا يلحظها .. حتى لا يسبب لها أى ضيق أو ألم
من أجله .

لكنه يشعر بأنه لا يستطيع أن يواصل الحياة بهذا
الأسلوب .

لقد بدأ يشعر بالاختناق فى هذا المنزل .

ولم يعد يتحمل نظرات الأب التى تذكره فى كل
لحظة أنه المسئول عن موت أخيه .. وتشره بالذنب .
كان من الأفضل أن يبقى للوضع على ما كان عليه ..

***** ٨٣ *****

وكان يكفيه أن يأتي متسللاً إلى هذا المنزل من آن
لآخر لرؤية أمه ، والاطمئنان عليها بدلاً من هذه
الحياة غير المحتملة -

خاصة وأنه ظن أن عودته إلى المنزل ستضمن
حتمًا عودته إلى العمل في مصنع النسيج الذي يمتلكه
أبوه ..

لكن شيئاً من هذا لم يحدث .. فهو لم يمارس أى
عمل بعد .. ولا يجد ما يفعله طوال اليوم فى المنزل
سوى التجوال فى الحديقة .. والجلوس مع أمه ..
وترقب وصول الأب .. الذى لا يحظى منه سوى
ب دقائق قليلة لا تتضمن أى حديث بينهما .. ولا يناله
منها سوى ذلك للوجه المتجهج ، وتلك النظرات التى
تبدو كما لو كانت سهامًا حادة تخترق جسده .

إذن - ماجدوى يقاته هنا ؟ وما الذى يضطره إلى
تحمل هذا الضياع وهذه الكراهية - وذلك الجو
المقوتر ؟

واتطلقت زفرة طويلة من صدره وهو يردد لنفسه :

- إنها أمى .. نعم .. لا شىء يبقينى هنا سواها
خاصة بعد أن أصبحت إنسقة مريضة .

إنها بحاجة إلى وجودى .. وقد وعدتها بأن أبقى ..
وسأبقى من أجلها .

لكن لابد لهذا الأمر أن يتغير .

لماذا لا يمنحنى فرصة للتفاهم معه .. وتوضيح
ما حدث .. وتصحيح العلاقة بيننا ؟

لكنه عاد ليقول :

- كيف يتكلم ذلك وهو مصر على إغلاق كل الأبواب
بيننا ؟

وبينما هو شارد فى أفكاره .. سمع طرقاً على
الباب .. فنادى قاتلاً :

- انخل !

وما لبث أن رأى أمه وهى تدخل عليه الحجرة ..
فاعتدل فى جلسته قاتلاً :

- أمى .. تعالى يا أمى .

قالت الأم وهي تتأمل وجهه بحنان :

- ألا تريد أن تتناول إفطارك معنا اليوم أيضا ؟

- لا أشعر برغبة في تناول أى طعام .

ابتسمت الأم وهي تداعب شعره قليلة :

- كيف هذا ؟ لقد أعددت لك إفطاراً شهياً .. كذلك

الذى كنت أعدّه لك من قبل وأنت صغير .

- أشكرك يا أمى .. ولكن ...

- حسن .. لقد تناول أبوك إفطاره وغادر المنزل

منذ قليل .. إذا كان هذا هو ما يجعلك تسجن نفسك

في غرفتك هكذا .. وتمتنع عن تناول الإفطار .

نهض (أحمد) من فوق فراشه قللاً :

- إبنى لا أريد أن أفسد شهيتك .

قالت الأم وهي تسير بصحبته إلى خارج الغرفة :

- ما الذى يجعلك تنظن هذا ؟

- ألم تلحظى كيف توقف عن متابعة تناول إفطاره

أول أمس حينما جلست إلى المائدة ؟

قلقت الأم محاولة تهوين الأمر :

- لكنه كان قد فرغ من تناول إفطاره بالفعل .

قال (أحمد) بضيق :

- وتلك النظرات التى كان يرمقنى بها فى أثناء

الغداء .. كلا يا أمى .

أنت تعرفين جيداً أنه يضيق بوجودى معه فى مكان

واحد - وأنه مضطر لتحملى فقط بسببك .

- هل منعود إلى هذا الحديث مرة أخرى ؟

- إبنى أحاول أن أوضح لك الأمر فقط .. وأنا أريد

أن أريحه من التعب النفسى الذى يتحمله بسبب رؤيته

لى - وأن أبتعد عن طريقه تماماً .

- لا أحب أن أسمعك تقول هذا .. لقد قلت لك إن

أحبك حبك .. ولكن الأمر بحاجة لبعض الوقت والصبر .

قال (أحمد) دون أن يتحكم فى تفاعله :

- إنك لن تخدعنى بهذا .. كما إبنى لم أعد مهتماً

بمشاعره نحوى وما إذا كان يحبنى أم يكرهنى .

ثم استطرد قائلاً وهو يحاول أن يخفف من حدة
التفعاله :

- إن ما يهمنى الآن هو أنت ، لا أريد أن تنشغلى
بهذا الأمر أو تقلقى بسببى .

نظرت إليه وفى عينيها نظرة حزينة قليلة :

- ولما لم أكون سعيدة ما كنت أراك على هذا الحال ..
إننى أبذل جهدى لإعادة التوأم بينك وبين أبيك .. لكن
عليك أن تساعدنى يا بنى .

- كيف ؟

- أن تحاول التأقلم معه ودفعه إلى التأقلم معك .

عاد ليسألها قائلاً :

- كيف ؟

- أن تفرض وجودك عليه .. أن تجعله يراك أمامه
دائماً حتى يعتاد ذلك .. أن تجلس معاً على العائدة
فى كل مرة نتناول فيها الطعام معاً .. ليعتاد ذلك الجو
الأسرى من جديد .

- إننى لا أستطيع تحمل نظرات الكراهية التى ينظر
بها إلى .

- كلما ابتعدت عنه .. كلما ازداد الجفاء بينكما ..
لكن تواجدك معه وبجواره سيقرب بينكما .. ومع
الوقت ستخفى نظرة الكراهية التى تقول إنك تراها
فى عينيها ليحل محلها حنان الأب الحقيقى .

ابتسم (أحمد) فى مرارة قليلة :

- أنت خيالية يا أمى .. فأبى ليس من النوع الذى
يتغير بسهولة .. وسأبقى دائماً فى نظره محل لتهام .

- لماذا لا تحاول ؟

تنهد (أحمد) قائلاً :

- مهما حاولت فلن تتغير مشاعره نحوى .

- لا يمكنك أن تحكم على ذلك ما دمت لم تحاول .

- لا أستطيع أن أفعل ما تريد .. أن أفرض وجودى
عليه .. وأن اضطره لأن يراتنى أمامه دائماً .. مادام
لا يطيق ذلك .

يكفى أنه وافق على عودتي إلى منزله .

قالت الأم سريعاً :

- إنه منزل كما هو منزله .

قال لها بمخبرة مبررة :

- لن تستطيعي أن تقتعني بذلك .

ثم قال محاولاً تغيير الحديث وهو ينظر إلى المائدة التي وضع عليها الطعام في حديقة المنزل :

- إن رؤية هذا الطعام الشهى قد أثارت شهيتي ..
وفي هذه الحالة فأنا مضطر لأن أعدل عن قراري
الصائب بعدم تناول الإفطار .. بشرط أن تشاركيني فيه .

قالت الأم في حسان وقد أسعدها إقبال ابنها على
للطعام :

- لكني سبقتك إلى تناول الإفطار مع أبيك .

أممك بيديها ليجلسها أمامه قائلاً :

- إنني شاركني الجلوس على الأقل .. فهذا يجعلني
أشعر بالتعويض المناسب .

٨- لقاء الذكريات ..

أخذ (أحمد) يجول في حديقة المنزل وهو يشعر
بالضجر .. وما لبث أن لمس الخفير وهو يروى
الحديقة مستخدماً في ذلك خرطوم المياه .

فوقف يتأمله وقد ارتسمت الابتسامة على وجهه .

تذكر أنه كان يحب أن يفعل ذلك دائماً وهو صغير ..
وأنة كان يستمتع برى للحديقة بنفسه .. وأحياناً كان
يستخدم الخرطوم في معاكسة الخفير والخدمة برشهم
بالماء .

وقد لمح له أبوه وهو يفعل ذلك .. فنهزه .. وحذره
من استعمال الخرطوم في رى الحديقة مرة أخرى لكنه
لم يبردد .

واقرب من الخفير قائلاً :

- عنك يا عم (متولى) -

قال له الخفير وهو يعد الخرطوم إلى الجهة الأخرى
حتى لا يصاب (أحمد) بالبلل :

- العفو يا أستاذ (أحمد) .

ابتسم (أحمد) قائلًا :

- هل نسيت أنني كنت أقول لى هذه الحديقة بنفسى
من قبل ؟

ضحك الخفير قائلًا :

- كلا .. لم أنس .. ولم أنس أيضًا أنك كنت
تعلمنى دقما وترش الماء على الخرطوم .. لذا .. فلنا
أخشى لو قديمته لك أن تكرر ما كنت تفعله معى من قبل .

ضحك (أحمد) بدوره قائلًا :

- اطمئن .. لن أفعلها معك هذه المرة .

قال له الخفير :

- ولكن يا أستاذ (أحمد) .. لا يصح .

سأله (أحمد) مزاحًا :

- قل لى .. هل أنت خفير .. أم جنائنى ؟

قال له الرجل ضاحكًا :

- الاثنان .. فقد كان والدك يريد شخصًا واحدًا للقيام
بالمسئولين توفيرًا للنفقات .

قال له (أحمد) وهو مستمر فى مزاحه :

- إذن .. فأنت تتهم أبى بالبخل .. سأخبره بذلك !

فزع الرجل قائلًا وقد صدق ما قاله (أحمد) :

- كلا يا أستاذ (أحمد) .. أرجوك .

ضحك (أحمد) قائلًا :

- حسن .. دع لى الخرطوم واذهب أنت للقيام بعملك
الثانى .. أعنى حراسة الفيلا من الخارج .

ووقف (أحمد) يرش الحديقة بالماء وهو يسحب
معه الخرطوم منتقلًا من مكان إلى آخر ، وقد وجد فى
ذلك وسيلة للتسلية والتخلص من حالة السأم التى
تعرّيه .

وما لبث أن سمع صوتًا نسمانيًا ناعمًا يأتى من خلفه
قائلًا :

- أنت (أحمد) .. لئس كذلك ؟

استدار فجأة وفي يده الخرطوم .. فتطير رذاذ
الماء في اتجاه الفتاة التي تحدثه ، ليصيب بعض
أجزاء من ثوبها بالليل .

أسرعت بالابتعاد قبل أن يبتل ثوبها بالكامل .

أبعد (أحمد) الخرطوم وقد اعترضته حلة من
الارتباك والخجل وهو يقترب منها قائلاً :

- آسف جداً .. إتنى لم أقتبه .

أخرجت منديلها وأخذت تمسح الأجزاء التي ابتلت
من ثوبها قائلة :

- هذا واضح .

حاول (أحمد) أن يقدم لها منديلاً آخر لتمسح به
ثوبها .. لكنها قالت :

- لا داعي لذلك .. على أية حال .. الأضرار بسيطة
والحمد لله على أنني قد ابتعدت في الوقت المناسب .

ثم أردفت قائلة وهي تنظر إليه :

- مازلت كما أنت .. لم تتغير .. مازلت تهوى

***** ٩٤ *****

استخدام الخرطوم بنفسك في رى الحديقة ومعاكسة
الآخرين .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- عفواً .. لكنى لم أقصد معاكستك .. لقد قلت لك
إتنى لم أقتبه وأن ذلك قد حدث على رغمي ..

قالت له بدلال :

- حسن .. وأنا سامحتك .

عاد ليتأملها بدهشة قائلاً :

- ولكن .. كيف عرفت اسمي؟ ومن لذي أخبرك بأمر
هوليتي لرى الحديقة بنفسى ؟

قالت له محتجة :

- هذه لن أسامحك فيها .. فقد كنت أظن أنك
ستعرفنى سريعاً كما تعرفك .

قال لها وهو يشعر ببعض الحرج :

- فى الحقيقة .. لا أستطيع أن أزعم أنني أعرفك .

- لا تقل بك قد نسيت حيات البطاطس والطماطم التي

***** ٩٥ *****

كنت أفتك بها .. ثم أجرى مهولة قبل أن تتمكن من
للحاق بي .

تأملها (أحمد) للحظة وهو يحاول أن يرجع
بذاكرته إلى الوراء .. ثم ما لبث أن تهلت أساريره
وهو يهتف قائلاً :

- (هالة) !

قالت وهي تنظر إليه بعتاب :

- أخيراً .. تذكرت .

استمر في تأمله لها وهو يدور حولها قائلاً :

- وكيف كان يمكنني أن أتعرفك .. وقد أصبحت
فتاة ناضجة وجميلة هكذا !!

عندما تركتك كنت طفلة صغيرة لا تتعدين الثلاثة
عشر عاماً .. ذات جسد نحيف وصفيرتين ووجه
شاحب .

نظرت إليه بغضب قائلة :

- أنا كان وجهي شاحباً ؟!

ابتسم قائلاً :

- على أية حال .. من الواضح أن الأمر قد اختلف
تعلماً الآن .

تألمته بدورها قائلة :

- لا أظن أن الأمر قد اختلف بنفسه لك كثيراً .. عدا
أنك قد زددت طولاً .. ويبدو أنك قد غيرت من طريقة
تصنيف شعرك .

- إنني سعيد لأنني قد رأيته .

- لو كان ذلك صحيحاً لحاولت أن تصال عنا .

- لقد مضى وقت طويل منذ أن ابتعدت عن هنا ..
وقد ظننت أنكم ربما قد غادرت المكان الذي كنتم
تقيمون فيه .

- في الحقيقة أنك لم تظن شيئاً .. لأنك لم تفكر
أصلاً فيما إذا كنا موجودين أم لا .. فالأمر لم يكن
سيكلفك سوى بضعة خطوات صغيرة للسؤال عنا في
نهاية الشارع .. خاصة وقد عرفت أنك كنت تأتي إلي
هنا خلسة .. لكنك لم تفكر قط في زيارتنا .. أما أنا

فحينما علمت بأنك قد عدت إلى المنزل قررت أن آسى
لزيارتك ورويتك .

ابتسم وهو يعود لتأملها قليلاً :

- إبنى سعيد لأننى قد رأيته .. وسعيد أكثر لأنك
مازلت تذكريننى .

ابتسمت وهى تتأمله بدورها كما لو كانت تراه لأول
مرة .. قليلة لنفسها :

- ربما أن مظهره لم يختلف كثيراً .. لكنه أصبح
أكثر وسامة عن ذى قبل .

قالت له وهى تحاول أن تتخلص من تأثير جاذبيته
عليها :

- هل نسيت أننا كنا أصدقاء ؟

- لقد أخبرتنى أمى عن رعايتك لها .. وأنا أريد أن
أشكره على ذلك .

- إبنى لا استحق شكراً على ذلك .. فلما أعدها بمثابة
أم لى ، لذا فمن واجبى أن أرهاها .. كيف حالها
الآن ؟

***** ٩٨ *****

- أظن أنها قد تحسنت عن ذى قبل .

- أعتقد أن لعمرك تأثيراً كبيراً فى ذلك .

- هل تهيت دراستك ؟

- إبنى فى السنة الأخيرة بكلية الآداب .

دعاها للجلوس إلى المائدة التى تحتل أحد أركان
الحديقة قليلاً :

- تفضلى .

لكنها اعتذرت قليلة :

- مرة أخرى .. فأبى ينتظر عودتى .. سأذهب لرؤية
طنط (نوال) أولاً ، ثم أعود إلى المنزل .

- لكننا لم نتحدث معاً بعد .

ابتسمت وهى تتطلع إليه قائلة :

- ما دمت عدت لتستقر هنا .. فلا بد أننا سنلتقى
كثيراً وسيكون بيننا العديد من الأحاديث .

واحصت برعشة فى يدها وهى تصافحه لم تدرك
سببها .. واستدارت وهى تتأهب للذهاب لرؤية والدته .

***** ٩٩ *****

لكنها توقفت فجأة وهي تستدير إليه قليلة :

- أما زلت تذكر شجرة البرتقال التي كنت تحب أن
تقطف ثمارها دائماً في منزلنا ؟ وكنت أتيك ببعضها
خلسة من وراء أبي ؟

ابتسم وهو يستعيد ذكرى تلك الأيام قاتلاً :

- لا أظن أنني قد تناولت أشهى من ذلك البرتقال
الذي تطرحه شجرتكم .

ابتسمت قليلة :

- إنها ما زالت مثمرة يمكنك أن تأتي إلى منزلنا لو
أردت أن تتذوق بعضها

ضحك (أحمد) قاتلاً :

- أخشى أن يغضب ذلك أباك .

ضحكت بدورها قليلة :

- اطمئن - لن يغضب منك هذه المرة .. خاصة لو
لم تستخدم الأحجار في إسقاط الثمار كما كنت تفعل
من قبل .

وهمت بالذهاب ، لكنه استوقفها مرة أخرى قاتلاً :

- بالمناسبة .. ما أخبار أختك الكبيرة ؟

- (سماح) .. إنها بخير .. لقد تخرجت في كلية
التجارة ، وهي تعمل الآن في وظيفة بإحدى الشركات .

- لا تنسى أن تسلمني لى عليها .

- سيكون من الأفضل أن تسلم عليها بنفسك .. فهي
مستعدة كثيراً برويتك .

- لا بد أنني سأفعل .. سلمني لى عليها حتى أراها .

- وابتعدت متجهة إلى الفيللا وهو يرقبها بنظراته ،
وقد ارتسمت ملامح الاشرار على وجهه .

لقد سعد بروية (هالة) .. وسوف يسعد أكثر إذا
ما التقى به (سماح) ..

فقد ذكرته رؤيته له (هالة) .. بمشاعره القديمة
تجاه أختها .. وعاطفته القديمة نحوها .

***** ١٠١ *****

***** ١٠٠ *****

٩- أيامنا الجميلة ..

عابته الذكرى بعد انصراف (هالة) .. ذكرى تلك
الأيام المسعدة وصحبته لهاتين الفتاتين في صباهما .
وتساءل .. كيف أمكنه أن ينسى ذكرى تلك الأيام
الجميلة ؟

ولكن هل نسيها حقاً ؟ أم أنها كانت كامنة في جزء
سحيق من عقله وقلبه . في انتظار الوقت المناسب
أو اللحظة المناسبة لتظهر من جديد ؟

لقد عرف (هالة) و (سماح) وهما طفلتان صغيرتان
بحكم الصلة الوطيدة التي كانت تربط بين أبيه وأبيهما .

وقد ارتبط بهما هو وأخوه بصلة حميمة ، حتى إن
والدته كانت ترشحه دائماً للزواج من (سماح) حينما
يكبران ، كما كانت تفعل نفس الشيء بالنسبة لأخيه
(هالة) .

وقد تأثر بذلك .. واستقرت الفكرة في وجدانه ..

***** ١٠٢ *****

فأصبح ينظر إلى (سماح) كما لو كانت خطيبته ..
وأن زواجه منها أصبح أمراً عاطفياً .

وعندما وصلا إلى سن الصبا .. تسلط هذا الشعور
على تفكيره فزاد تعلقه بها .

لقد كان في الخامسة عشرة من عمره حينما اضطُر
للابتعاد عن المنزل .. وكنت هي في الخامسة عشرة من
عمرها .. فقد كنت تصغره بعلم واحد .

كما أن أخاه رحل عن الحياة وهو في الثالثة عشرة
من عمره وهو نفس عمر (هالة) تقريباً .

وكان يشعر بأن (سماح) بدورها تميل إليه ..
وتفضله على غيره من فتيان المنطقة الذين كانوا
يحاولون خطب ودها .

كما كان يحاول دائماً استعراض مهارته في
المباحة أمامها ، وإحراز الميداليات لينال إعجابها .

لكن جاءت فترة حينما نضج وابتعد عن هذا المنزل ..
دون أن تتاح له الفرصة لرؤيتها بصورة مستمرة كما
كان يفعل من قبل .. ظن خلالها أن ملامحها تتلاشى

***** ١٠٣ *****

من ذهنه تدريجياً .. وأن عاطفته المراهقة الجياشة
تجاهها تخبو مع الوقت .

فأقنع نفسه أنها لم تكن عاطفة حقيقية .. وإنما هي
بالفعل مشاعر مراهقة لصبي أفتعوه وهو طفل أنه
سينتزوج من ابنة الجيران .. لكن .. ماذا يعنى تفكيره
فيها الآن .. ولهفته على رؤيتها وتحرك مشاعره
القديمة لدى تذكره لها ؟

هل هو حنين إلى الماضي ؟ أم أن تلك المشاعر
ما زالت حية بداخله ، وليست مجرد مشاعر وهمية
مقلبة لفتى فى السادسة عشرة من عمره ؟

على أية حال إن لقاء بها هو الذى سيحدد ذلك ..
وكل ما يحسه الآن هو أنه فى شوق لأن يراها .. وأن
يستعيد معها لحظات جميلة ضاعت مع الزمن .

* * *

ظلت (هالة) تفقر طوال الطريق بعد مغادرتها لفيلا
الحاج (عبد الراضى) .. فى أثناء عودتها إلى منزل

***** ١٠٤ *****

أبيها .. كما لو كانت طفلة صغيرة سعيدة ، وهى
لا تعرف ما الذى جعلها تفعل ذلك .. دون أن تتمكن
من السيطرة على تصرفاتها الطفولية .

كل ما تعرفه أنها كانت سعيدة سعادة لا تُدرى
كنها .. وأن قلبها كان يخفق بشدة .

وتوقفت للحظة وهى تلهث .. قائلة لنفسها إنه من
المؤكد أن هناك تفسيراً لهذه البهجة التى تحسها ..
ولخفقان قلبها على هذا النحو .

ومن المؤكد أنها تعرفه .. فلماذا تحاول أن تنكره ؟
ولماذا لا تعترف صراحة أنها سعيدة لأنها رأت
(أحمد) من جديد ؟

وأنها كانت فى شوق ولهفة لأن تراه بعد هذا
الغياب الطويل .

لقد كانت شديدة التعلق بـ (أحمد) وهى طفلة
صغيرة ..

وكانت تحب دائماً أن تتواجد معه فى الأماكن التى

***** ١٠٥ *****

يوجد بها ، وأحسست أحياناً بالغيرة من أختها لأنها
كانت تستحوذ على القدر الأكبر من اهتمامه .

وبرغم كون سننها مماثلة لسن أخيه المتوفى
إلا أنها لم تشعر بميل حقيقى إليه .. فقد كان ألتانياً
ويتعامل معها بقسوة وغلظة .

بعكس (أحمد) الذى كان يعاملها برفقة وحنان برغم
مشاغلها العديدة له .. كان يشبه أحياناً أبا حنوناً ومثلاً
حقيقياً للرجولة المبكرة برغم سنوات عمره القليلة .

وكانت ترفض بإباء وهى طفلة فى الثامنة من
عمرها مداعبة أمها لها بأنها عندما تكبر ستزوجه من
(أكرم) .. وتقول بإصرار .. إنها عندما تكبر لن
تنزج إلا من (أحمد) .. فكانت الأم تضحك وتدهش
لذلك .

ويبدو أن هذا الطفل .. والصبى الذى عاش فى
خيالها وهى طفلة صغيرة ظل مسيطراً على أحلامها
دون أن تدرى .

فهى لم ترتبط بأى رباط عاطفى مع أى شاب منذ

***** ١٠٦ *****

نضوجها ، وبعد أن تحولت إلى فتاة لها مشاعر
وأحاسيس تختلف كثيراً عن تلك الطفلة التى كانتها
فى يوم من الأيام .

لكن يبدو أن تلك التحول والاختلاف فى المشاعر
والأحاسيس ، لم يعثره تحول عاطفى عن مشاعر الحب
الطفولية للبرينة التى عرفتها ، واستقرت فى وجدانها
دون أن تدرى .

فبرغم زمالتها للعديد من الشبان فى أثناء دراستها
فى الجامعة ، إلا أنها لم تجد فى أحد منهم صورة
مشابهة لذلك الفتى الذى فارقها منذ تسع سنوات دون
أن يفارق خيالها .

ولم تجد بدلاً فى المراحل الأولى من شبابه لتلك
المشاعر التى عرفتها فى طفولتها برغم بساطة تلك
المشاعر ومذاجتها فى تلك المرحلة المبكرة من
عمرها .

إنها سعيدة لأن (أحمد) عاد إلى منزله ، وإلى أمه
التي كانت فى شوق إلى عودته وإلى وجوده معها .

***** ١٠٧ *****

كما أنها سعيدة لأنه ستتاح لها الفرصة مرة أخرى
لكي تلتقي به من جديد ، وتحدث معه كما كان يحدث
من قبل .. برغم اختلاف مظهريهما ومشاعرهما .
ونظرتهما للحياة بعد السنوات التي أضيقت إلى
عمريهما .

* * *

تأملته الأم وهي تراه ساهماً يحدث في الفضاء
الممتد أمامه وقد شرد بأفكاره بعيداً .
نادته عدة مرات قبل أن ينتبه إليها ويلتفت نحوها ،
حيث سألته :

- لقد نابتك عدة مرات - لكن يبدو أنك كنت شاردًا
بأفكارك بعيداً حتى أنك لم تسمعي .

قال وهو ينهض لاستقبالها :

- أسف يا أمي .. يبدو أنني كنت كذلك بالفعل .

قالت وهي تحيطه باهتمامها :

- وإلى أين شردت بك أفكارك ؟

ابتسم قللاً :

- ليس إلى مكان محدد .

- إني قلقة بشأنك يا (أحمد) .

- وما الذي يدعوك إلى القلق ؟

- لقد أصبحت كثير الشرود .. وأشعر بأنك لست
سعيداً بوجودك هنا وأنت مضطر للبقاء من أجل .

قال (أحمد) بعد برهة من الصمت :

- هذا صحيح .. وقد أخبرتك بذلك من قبل .

قالت الأم وقد أطلت مظاهر الحزن من عينيها :

- وهل تظن أنني سأكون راضية لا مضطارك للبقاء
في مكان لا ترتاح إليه ، حتى لو كان هذا المكان هو
المنزل الذي عشت وتربيت فيه ؟

تهدد (أحمد) بصق قللاً :

- إن كل جزء من هذا المكان يذكرني بأخي .

قالت الأم وقد ازدادت نظرة الحزن في عينيها عمقا :

- لقد اختار الله أخاك إلى جواره - فلا داعى لأن
نجدد الأحزان .

وإذا كان هذا المكان يحرك فى نفسك مشاعر لينة ،
يمكننى أن أتحدث إلى أبيك للانتقال إلى مكان آخر .

- إن تغيير المكان لن يحدث اختلافًا كبيرًا ، مادامت
نظرات أبى تذكرنى دائماً بأبنى الممنول عما حدث .

- لا تلق باللوم كله على أبيك .. فقد قلت لك من
قبل إن عليك أن تخطو نحوه بخطوات من جانبك ،
تساعده وتساعدك على التألف من جديد .

- وهل تظنين أننى لا أريد ذلك ؟ ولكن كيف أفعله ؟
وهل سمح لى هو بهذا التقارب ؟

- عليك أن تسعى إليه .

- لن يتيح لى الفرصة لذلك .. ولن يمكننى تحمل
صده لى دائماً .

- أخشى أنك تحاول أن تجد مبرراً لتهجرتى مرة
أخرى .

- لقد ابتعدت عنك على رغمى .. وأنت تعرفين ذلك
يا أمى - وسأظل أحاول ألا يحدث ذلك مرة أخرى .

- سادع الله من أجل ذلك .

وما لبثت أن استطريت قليلة :

- هل التقيت بـ (هالة) ؟

- نعم ... إبنى لم أتعرفها فى البداية .

- لقد صارت شابة جميلة .. أليس كذلك ؟

- بلى .. لقد اختلفت كثيراً عن الطفلة التى رأيتها
قبل أن أرحل عن هنا .

- ما رأيك فيها ؟

- إنها تبدو لطيفة .. وأظن أنها أصبحت أكثر تعلقاً
عما كانت عليه من قبل .

- لقد كنت أظن أننى سأراها بعد وفاة والدتها -
لكن يبدو أن العكس قد أصبح هو الصحيح .. فهى
ترعقنى دائماً كما لو كنت أمها .. ولا يمر أسبوع دون
أن تأتى لزيارتى .. وقد كنت تملأنى دائماً عنك .

- (وإسماعيل) .. ألا تأتي لزيارتك والمسؤول عنك هي
الأخرى ؟

- إنها لا تودنى كثيراً كما تفعل (هالة) .. وأصبحت
زيارتها لنا نادرة .

- ربما لأن ظروف عملها تمنعها من ذلك - فقد
علمت أنها أصبحت تعمل في إحدى الشركات
التجارية .

- ربما - ولو أن المسافة بين منزلنا ومنزلهم ليست
بعيدة بالقدر الذي يمنعها من زيارتي ، والاطمننان
على صحتي خاصة بعد الأزمة الأخيرة التي تعرضت
لها .

لقد كانت أختها تتريد على يومئذ للمسؤول
والاطمننان على حالتني .. إني أحب هذه الفتاة كثيراً
يا (أحمد) ، وأشعر كما لو كانت ابنتي حقاً .

إبتمم (أحمد) وهو يضع يده على وجنتها قائلاً :
- من الواضح أنها هي الأخرى تبذلك نفس الشعور .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

- ألا ترين أنه يتعين على أن أؤورهم ، وأن
أشكرها على رعايتها لك ، في أثناء غيابي ؟
إبتممت الأم وقد فرحت لسماع ذلك قائلة :
- إنها تستحق ذلك - وما هو أكثر .



١٠ - شجرة البرتقال ..

غادر (أحمد) حجرته متجهاً إلى الطابق السفلي ،
حيث اتجه إلى باب المنزل ليفتحه حينما نادى أمه
فقلة :

- (أحمد) .. إلى أين تذهب ؟

استدار (أحمد) ليرى أمه في أحد أركان الردهة ،
وبجوارها (هالة) ، بينما أردفت الأم قفلة :

- ألا تأتي لتحية صديقتك القديمة أولاً قبل أن تغادر
المنزل ؟

صافحها (أحمد) قائلاً :

- أهلاً .. (هالة) .

قالت له بدلال :

- أنا (زعلاية) منك .

قال (أحمد) بدهشة :

- لماذا ؟

- لقد توقعت أن تأتي لزيارتنا كما وعدتني .

- لكن .. هذا هو ماكنت أنوي أن أفعله الآن .

- أتريد أن تقتنعي بذلك ؟

- هذه هي الحقيقة .

تدخلت الأم في الحديث قفلة :

- لقد أخبرني بالأمس أنه ينوي زيارتكم بالفعل .

- إذن .. هيا بنا .

- ولكن .. هل والدك هناك ؟

- نعم .. وهو يريد أن يراك .

قال لها وقد أحسن ببعض الارتباك :

- (و) سماح) ؟

هزت رأسها قفلة :

- (و) سماح) .. هيا معي ، إنهما متشوقان لرؤيتك .

- هل علمت (سماح) أنني عدت إلى المنزل ؟

- بالطبع .

- إذن - لماذا لم تأت معك .. إذا كانت ترغب حقاً
فى رؤيتى ؟

- لم تتح لها الفرصة لمعرفة ذلك إلا منذ يومين
فقط .. وعلى أية حال يمكنك أن تعاتبها حينما تراها ..
ولو أن الواجب كان يقتضى أن تأتى أفت أولاً لزيارتنا .
أحس (أحمد) باضطراب شديد وهو يجتاز البوابة
الأمامية للقبلا .. فقد انقضى وقت طويل منذ أن جاء
إلى هنا .

وأخذ يتأمل المكان حوله فى فضول ، وهو يتذكر
الأيام التى كان يأتى فيها ، والساعات التى كان
يقضيها فى اللعب هو وأخوه مع (سماح) و (هالة)
فى طفولتهم .

ثم الساعات التى كان يجلس فيها بصحبة (سماح)
فقط ، وهو يحاول الانفراد بها عندما أصبح فتى
بافقاً .. وخجله الذى كان يمنعه من التصريح لها
بمشاعره نحوها .

لقد حدثت بعض التعديلات على القبلا .. لكن
معالمها الرئيسية لم تتغير كثيراً عما عهدا عليه .

ابتسمت (هالة) وهى تنظر إليه قائلة :

- أما زلت تذكر المكان هنا ؟ أم أنه أصبح غريباً
عليك ؟

قال لها وهو مستمر فى تأمله للمكان :

- أظن أنني بحاجة لبعض الوقت لكى آلفه من
جديد .

أشارت إلى إحدى الأشجار فى الحديقة قائلة :

- لا نقل لى إنك قد نسيت هذه الشجرة !

سار بصحبتها نحو الشجرة ليتطلع إليها وقد عاوده
حنين قوى إلى ماضيه ، ثم ما لبث أن مد يده ليتلطف
إحدى ثمار البرتقال التى تدلت منها قائلاً :

- وكيف يتمنى لى أن لتساها ؟

ضحكت (هالة) قائلة :

- الآن تستطيع أن تمد يدك لتأخذ البرتقال بنفسك ،
بدلاً من استخدام الحجارة فى إسقاط الثمار والاستيلاء
عليها !

- هل نسيت أننا أصدقاء قدامى ؟ لم أنك تريد أن
نتعامل معاً بشكل رسمي ؟

- كنت أخشى أن تكون الأمور قد اختلفت بالنسبة
لنا .. خاصة أننا لم نعد أطفالاً كما كنا من قبل .
هزت رأسها قائلة في مزح :

- بالطبع .. يوجد بعض الاختلاف الآن .. فانا مثلاً
لم أعد مستعدة لأن تحملني فوق كتفك ، لكى ألتقط
لك ثمار البرتقال كما كنت أفعل من قبل .
ضحك (أحمد) قائلاً :

- وأنا أيضاً لم أعد مستعداً لتلطّيح ملامسى بحبات
الطمطم التى كنت تكفّفنى بها كما كنت تفعلين من قبل .
تطلّقت ضحكتهما .. وهما يستعدان تلك الذكريات ..
فقد سقطت الحواجز سريعاً بينهما ، وأحس (أحمد)
بأن كل تلك السنوات التى لبّعت خلالها عن الفتاة ،
وعن المكان قد أخذت تتلاشى تدريجياً .. وأنه يشعر
نحوها بالآلفة والصداقة التى كان يفقدها .

وفجأة توقف عن الضحك وهو ينظر إلى تلك الفتاة

ضحك بدوره قائلاً :

- لا تنسى أنك كنت تحرضيننى على ذلك .

- نعم .. فقد كانت هذه الشجرة أمامى دائماً ، ولم
أكن أجد متعة كبيرة فى أن يحضروا لى من ثمارها .
لكن لا أدرى لماذا كنت أشعر بهذه المتعة وأنا
أشاركك مرققة الثمار .. برغم أننى لم أكن بحاجة
لهذه السرقه .. فالشجرة ملكنا .

قال (أحمد) مازحاً :

- ربما لألك لصة بطبيعتك .

لكنه استدرج قائلاً وقد أحس بأنه ربما يكون قد
تجاوز الحد :

- آسف .. إذا كنت قد تجاوزت الحد .

اقتربت منه وقد أحست بأن مشاعرها القديمة نحوه
ما زالت كما هي لم يطرأ عليها أى تغيير ، وإن
اتخذت شكلاً مختلفاً عن مشاعر الطفولة .

وابتسمت ابتسامة تعبر عن ارتباكها لهذا الإحساس
الذى لم تعهده فى نفسها منذ سنوات بعيدة قائلة :

التي كانت تقترب منهما ، وقد جذبها صوت ضحكتهما
وهي تتطلع إليه بفضول .

وتوقفت أمامه وهي تشير إليه بإصبعها قليلة :
- لا بد أنك (أحمد) !

تسمر (أحمد) في مكانه وهو يحدق في الفتاة
الواقفة أمامه .

هذه المرة لم يكن بحاجة لأن ينشط ذاكرته ، وأن
يدقق النظر في وجهها لكي يعرف أن هذه الفتاة هي
(سمح) .. شيء واحد استغفلت لفتباهه .

فقد ازدادت الفتاة جمالاً عما كانت عليه من قبل ..
برغم أنه عهدا جميلة دائماً .

لقد نضجت وأصبحت كاملة الأنوثة .. كما ازدادت
فتنة على نحو يخلب العقول ويخطف الأبصار .

لقد أصبحت حقاً أجمل من الصورة التي ظلت تعيش
في خياله - حاول أن يسيطر على مشاعره التي
ارتبكت للحظة حينما رآها قاتلاً لها :

- نعم .. أنا هو .. ولا بد أنك (سمح) .

ابتسمت (هالة) قليلة :

- لقد تعرف كل منكما الآخر سريعاً ..

ووضعت يدها في خصرها وهي تستطرد قليلة له :

- بينما احتاج الأمر أن أعرفك بنفسي حينما التقينا
من جديد .

ليقسم (أحمد) قاتلاً وهو ينقل بصره بينها وبين
أختها :

- هذا لأنك كنت أصغر سنًا حينما رحلت عن هنا ..
فقد كنت في الثالثة عشرة من عمرك .. وهذا هو
السن الذي يفصل ما بين الطفولة والأنوثة الحقيقية
بالنسبة للفتاة .

أما أنا و (سمح) فقد كنا متمثلين في العمر .

قالت (سمح) سريعاً :

- بل كنت أصغر منك بعام واحد .

هز رأسه موافقاً وهو يقول :

- حقاً .. لقد كنت تصغرينني بعام بالفعل .

تألمته (سماح) قلة :

- لكنك ازددت طولاً .. ولم تعد نحيلاً على النحو الذى كنت عليه من قبل .

ابتسم قاتلاً :

- هذا أمر طبيعى - أنت أيضاً ازددت جمالاً .

ابتسمت وهى تحدة بنظرات جريئة لربكته .. قلة :

- وأنت أصبحت شاباً وسيماً .

اختلفت (هالة) للنظر إليهما وقد اعترأها إحساس مباغت بالغيرة لم تستطع أن تجد له تفسيراً .

وقالت لهما وهى تحاول أن ترسم على شفثيها ابتسامة باهتة :

- هل تتويان أن تبدأ لقاءكما الأول بعد غياب هذه السنين بكلمات القزل ؟

قالت (سماح) محتجة :

- (هالة) ... ما هذا الذى تقولينه ؟

بينما ضحك (أحمد) قاتلاً :

- إنها تمزح بالطبع .. وعلى أية حال أظن أن بيننا معرفة سابقة تسمح لكل منا أن يبدى إعجابه بالآخر .. وأن يصارحه بما أضفته للسنون على ملامحه من اختلاف .

قالت له (هالة) مداعبة :

- وهل تظن أن السنين التى غبتها قد أضفت عليك وسامة حقيقية بالفعل ؟

ابتسم قاتلاً :

- ما رأيك أنت ؟

قالت له وهى مستمرة فى مداعبتها له :

- أظن لك كنت أكثر وسامة حينما كنت أصغر سناً .

وقبل أن يرد عليها سمع صوتاً يرحب به قاتلاً :

- أهلاً بك يا (أحمد) .. تفضل يا بنى .

كان والد الفتاتين هو الذى جاء فى هذه اللحظة .. فأسرع (أحمد) نحوه ليمد له يده مصافحاً وهو يقول :

- أهلاً بك يا عمى .

قال (نعمان) وهو ينظر إلى ابتتيه :

- لماذا لم تأت إلى الداخل ؟ وما الذى يدعوك إلى الوقوف هنا عند مدخل الحقيقة ؟

قال (أحمد) مرتباً :

- فى الحقيقة .. لقد كنت ...

لكن (هالة) تدخلت لإقصاده من الحرج وهى تقاطعه قائلة :

- لقد كان فى طريقه إلى الداخل لمقابلتك .. حينما استرعت انتباهه شجرة للبرتقال التى كان يستهويه للعب حولها والجلوس إليها .

نظر الأب إلى البرتقالة التى قطفها (أحمد) ،
والتي كانت لاتزال فى يده قائلاً :

- أما زلت مصراً على سرقة ثمارها ؟

ازداد (أحمد) حرجاً .. ولم يدر ماذا يفعل بالبرتقالة || أعطيها لأب أم يعيدها إلى مكانها أسفل الشجرة ؟ أم يظل محتفظاً بها فى يده ؟

بينما ضحك الأب وهو يضع يده على كتفه ليصطحبه إلى الداخل ، وقد لاحظ ارتبائه قائلاً :

- إثنى امزح معك بالطبع .. يمكنك أن تأخذ ثمار الشجرة كلها لو أردت .

ثم دعاه إلى الجلوس قائلاً :

- لقد مضى وقت طويل منذ أن رأيتك يا (أحمد) !
لكن - ما شاء الله - لقد صرت رجلاً .

واستطرد قائلاً :

- هل تمارس عملاً ما ؟

- الحقيقة .. لقد تخرجت فى كلية الهندسة منذ علمين .. لكننى لم أتعلم عملاً بعد .

عاد الأب ليقول :

- ما شاء الله .. إذن أصبحت مهندساً .

- نعم .. وقد تخصصت فى الهندسة الميكانيكية .

- ولماذا لا تعمل فى مصنع أبوك ؟ لا بد أنه بحاجة إلى شخص مثلك للإشراف على آلات التسيج الموجودة فى مصنعه .

- هذا ما كنت آمله .. لكنك تعرف أن علاقته به ليست
على ما يرام منذ وفاة أخى .

هز الأب رأسه قائلًا :

- نعم .. ولكن ألم تتحصن علاقته بك بعد ؟ لقد
ظننت أن عودتك تعنى

قاطعته (أحمد) قائلًا :

- عودتى لم تحدث لاختلافًا كبيرًا فى مشاعره نحوى ..
إته ما زال يحملنى الممنولية عن وفاة أخى .

نظر الأب إلى ابنتيه اللتين كانتا تحيطان بالمقعد
الذى جلس إليه (أحمد) قائلًا :

- ألا تقدمان شيئًا لضيقتنا ؟ أم مستكفيان بالتحقيق
فيه هكذا ؟

قالت (سمح) بصوت يتدفق نعمة :

- إته يحب عصير الفراولة .. سأحضر له عصير
فراولة !

نظر الأب إليها بعينين ثاقبتين قائلًا :

- من المدهش لك ما زلت تفكرين ما يحبه (أحمد) ..
بعد كل هذه المنين .

ثم تحول إلى (أحمد) قائلًا :

- إن (سمح) لها ذاكرة قوية .. أليس كذلك ؟

ابتسمت (هالة) وهى تتناول ثمرة البرتقال من يده
قائلة :

- وأنا سأقشر لك هذه البرتقالة .

قال (أحمد) مرتبكًا :

- لا داعى لكل ذلك .

ابتسم الأب قائلًا :

- إننا نريد أن نحتفى بك بعد أن غبت عنا كل هذه
المنين .. فقد كنت دائمًا بمثابة أخ لهما .

ثم أرفف قائلًا وفى صوته نبرة من الحزن :

- وكذلك كان أخوك المتوفى .

ارتسمت ملامح الأمى على وجه (أحمد) كعائته
كلما ذكر أحدهم أمامه أخاه للراحل .

بينما راقب الأب تصرفات ابنتيه .. ثم تحول إليه
قائلًا :

- هل تحب أن أقنخل لإعادة النوم بينك وبين ألييك ؟

- لا أظن أنه مستعد لذلك الآن .. وأنا لا أريد أن

أعرضك للحر ج يا عمى .

- لكن شاباً مثلك فى مستهل حياته .. لا بد أنه

بحاجة لمن يمد له يده ويساعده .

- أنا بحاجة إلى مساعدتك بالفعل يا عمى .

قال له الرجل سريعاً :

- مساعدتى أنا ؟ إننى مستعد لتلبية أى طلب

يا بنى .

- إننى بحاجة لأن أعمل .. فأنا لا أستطيع أن أبقى

بلا عمل هكذا .. ولكنى أريد عملاً يتفق مع تخصصى ..

على أن يكون ذلك العمل داخل مدينة المنصورة .

فأنا لا أستطيع الابتعاد عن أمى بعد الآن .. خاصة

بعد أن أصبحت سيدة مريضة .

لذا فقد كنت أمل لو مساعدتى فى الالتحاق بأحد

المصانع أو للشركات التى تعرف أصحابها أو المسئولين

عن إدارتها ، بما لك من علاقات واتصالات قوية هنا .

***** ١٢٨ *****

قال له الرجل وهو يرمقه بنظرة احترام :

- ولكن ليكون أبوك صاحب مصنع نسيج كبير -

وتبحث عن عمل لدى الآخرين ؟

- هذا ما أصبحت تقتضيه الظروف .

- على أية حال .. دع لى هذا الأمر وبلان الله

سأجد لك الوظيفة المناسبة .

شد (أحمد) على يده ممتناً وهو يقول :

- أشكر يا عمى .. سأكون ممتناً لو مساعدتى فى

تحقيق ذلك .



***** ١٢٩ *****

١١ - دمة في عينيه ..

مر أسبوع منذ أن ذهب (أحمد) إلى المنزل الذي تقيم فيه (هالة) و (سمح) وقد عانت الصلة بينهما لتتوطد مرة أخرى .. وإن اتخذت شكلاً مختلفاً عن صداقة الطفولة والصبا القديمة .. لكنها استمرت حميمة كما كانت فيما مضى .. ففى البداية كان يبدى بعض التحفظ فى علاقته بهما .. فهو لم يعد ذلك الصبى الصغير ، كما أنهما الآن فتاتان ناضجتان وقد تجاوزتا مرحلة الطفولة . لذا كان لابد من وجود بعض التحفظات التى جعلته يتردد فى توثيق علاقته بهما عما كانت عليه من قبل .

فلم يحاول أن يكرر الزيارة .. أو يفرض صداقته عليهما على النحو الذى كانت عليه من قبل .

لكن (هالة) أذابت تلك الحواجز الوهمية التى أراد أن يضعها بينه وبينهما بتلقائيتها وبسلطانها الشديدة .. وعصت بتردها على المنزل لزيارته وزيرة والفته ..

وصحبتها له إلى توطيد الصلة بينهما ، وعودة الصداقة القديمة فى شكلها الجديد .

وبرغم أنه التقى مرتين بـ (سمح) خلال هذا الأسبوع .. وما لاحظته من ترحيبها واهتمامها به .. إلا أنه ما زال يشعر ببعض الاضطراب فى مشاعره كلما التقى بها ، ويد نفسه إعداداً خالصاً لهذا اللقاء .
بعكس (هالة) التى يكون معها على طبيعته دون حاجة إلى اهتمام زائد بمظهره ، أو حرص زائد على اقتناء الكلمات .

ربما لأنه ينظر إلى (هالة) على أنها تلك الصديقة الصغيرة ، أو الأخت العزيزة .. أما بالنسبة لـ (سمح) فما زالت جوارحه تتطوى على تلك العاطفة القديمة التى نمت مع نموه ، وتنتقله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الصبا .. ويبدو أنها ما زالت كامنة بداخله بعد أن تنتقل إلى مرحلة الشباب .

وبرغم الاهتمام الملحوظ الذى أبدته (سمح) نحوه فى المرتين اللتين التقى بها خلالهما ، إلا أنه كان يحس أنه اهتمام به قدر من التصنع .. ولأنها

لا تتمتع بنفس التلقية والبساطة اللتين تتمتع بهما
أختها .

غادرت (هالة) كليتها وهي تسير بصحبة
صديقاتها ، حينما لمحت (أحمد) واقفاً على الرصيف
الآخر وهو ينظر في اتجاهها .

نظرت إليه باستغراب في حين لاحظته زميلاتها .
وهو يتعمد ملوحاً لها وقد لبست بدورها ملوحة له .
فصالتها إحداهن قللة :

- هل تعرفين ذلك الشاب الوسيم ؟

قلت (هالة) وقد أحسيت ببعض الارتباك :
- إنه جارنا .

علقت زميلة أخرى بخبث قللة :

- أتمنى أن يكون لى جار كهذا .

قلت (هالة) وهي تنظر إليها مستنكرة :

- لا داعى لهذه الأفكار الخبيثة .. إنه مجرد صديق ..
والده أيضاً صديق لوالدى .

***** ١٣٢ *****

قلت إحداهن وهي تحرك ذراعها بطريقة تمثيلية :
- حسن .. مارليك لو عرفتنا بهذا الصديق الجذاب ؟

قلت لهما وهي تستأذن منهن للذهاب إليه :
- سافعل ذلك فى المرة القادمة .

واقنعت إليه على الرصيف الآخر وهي تسأله قللة :

- (أحمد) .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

لبسم (أحمد) وهو يضافحها قتلاً :

- لم أجد شيئاً لأفعله .. ففكرت أن أتى إلى هنا
لزيارتك فى الكلية .

هزت كتفها وهي تحتضن كشاكيلها قللة :

- فى الحقيقة لم أتوقع أن تفعل ذلك .

نظر إليها قتلاً :

- هل ضاوتك تصرفى هذا ؟

قلت وهي تسير إلى جواره :

- أبداً .. ولكن زميلاتى قنوا

***** ١٣٣ *****

نظر إليها وقد لاحظ لأول مرة أنها يبدو عليها
الحرج وهي تتحدث إليه .. فقال :
- ظنونا ماذا ؟

قالت وهي تحاول التغلب على حرجها :

- أئنا .. أن .. أن بيننا صلة عاطفية .

ابتسم وهو يتأملها وقد أعجبه تورد وجنتيها وهي
تتحدث إليه ، قائلاً :

- ولكن هذا صحيح .. فبيننا صلة عاطفية بالفعل .

نظرت إليه باستغراب وقد أربكها ما قاله .

بينما استطرد قائلاً :

- إن للصدقة هي نوع من العاطفة .. ونحن أصدقاء

أليس كذلك ؟

هزت رأسها وقد بدا أن ما قاله جاء مخيباً

لآملها .. وقالت :

- بالطبع .

ثم حاولت أن تغير الحديث قائلة :

- هل أعجبك كليتي ؟

إنني لم أخلها .. لكنني لم أتصور أنها ستكون
مكتظة بالطلاب على هذا النحو .

قالت ضاحكة :

- إنها الزيادة السكانية .

- ولكن .. أين سيارتك ؟

- إنني تفضل السير على قدمي في الذهاب والعودة ..
فالجامعة ليست بعيدة كما ترى .

- هذا أفضل .. ولكن إلى أين ستذهبين الآن ؟

- إلى المنزل .

سألها قائلاً :

- هل تتعجلين الذهاب إلى المنزل ؟

نظرت إليه باستغراب قائلة :

- لماذا تصالني ذلك السؤال ؟

- أشعر بأنني بحاجة للتحدث معك بعض الوقت .

- وما الذى يمنعك من ذلك ؟ قل ما تريده ونحن فى طريقنا إلى المنزل .

- أفضل أن نجلس فى مكان هادئ لنحدث معاً ..
فلما بحاجة لتغيير تلك الأماكن التى اعتدت الذهاب إليها .

حاولت أن تعتذر ، وقد بدا عليها شيء من التردد قليلة :

- ولكن

لكنه فاطمها ليحول بينها وبين الاعتذار قليلاً :

- لبيتك لاثنتين .. فلما لا أعرف أحداً هنا سوى أنت وأختك .. وأنا بحاجة لإحداكما لأحدث إليه .

- لكننا نلتقى تقريباً بصورة شبه يومية .. وقد جرت بيننا أحاديث مختلفة .

- حديثى معك اليوم سيكون مختلفاً .. وأفضل أن يكون بعيداً عن منزلنا أو منزلكم .

رضخت (هالة) لرغبته قليلة :

- حسن .. ما دامت هذه هى رغبتي .

جلست (هالة) قبالتها فى الكازينو الذى اصطحبها إليه ، وهى تنتظر أن تسمع منه ، وقد لاحظت علامات الحيرة والتفكير على وجهه .

وما لبث أن تحدث إليها قليلاً :

- (هالة) .. أنت تعرفين مدى إعزالي لك وثقتى الكبيرة بك .

- هذا هو نفس شعورى نحوك يا (أحمد) .. ولا بد أنك تعرف ذلك أيضاً .

- نعم .. لذا فلما أريد أن أعتد عليك فى الاهتمام بأمرى ورعايتها فى أثناء غيابي .

اضطربت (هالة) لدى سماعها ذلك قليلة :

- غيابك ؟ هل تنوى الرحيل عن المنزل مرة أخرى ؟
- نعم .

قالت وقد ازدادت اضطراباً :

- لكنك لم تعد إلا لفترة قصيرة .

أطرق برأسه قليلاً :

- إننى مضطر لذلك .

- كيف ؟ هل حدثت .. مشكل أخرى بينك وبين والدك ؟

- سيتفجر الموقف بيننا آجلاً أم عاجلاً .. فلم يحدث أى اختلاف فى مشاعره نحوى منذ أن عدت إلى المنزل .

لكن ليست هذه هى المشكلة .. فقد كان من الممكن أن أتحمل ذلك . وأعد نفسى له .

المشكلة الحقيقية هى أننى لا أستطيع أن أبقى بلا عمل - ومعتمداً على الإعاقة التى يقدمها لى كل شهر .. كنت قد أرسلت إلى إحدى الجهات التى تطلب مهندسين متخصصين للعمل لديها فى إحدى الدول العربية ..

وبالأمس فقط اتصل بى خالى ليخبرنى أنهم أرسلوا لى الرد بالموافقة .. وطلبوا أن أعد أوراقى وأسافر إليهم خلال أسبوعين .

قالت (هالة) وفى صوتها نبرة حزن واضحة :

***** ١٣٨ *****

- ولكن ذلك سيكون قاسياً على والدتك .. فقد كانت تترقب عودتك بفارغ الصبر .. ومن الواضح أن صحتها قد تحسنت كثيراً بعد رجوعك إلى المنزل .

- سيكون ذلك قاسياً على أيضاً .. فلا تقضى أننى سعيد بالسفر أو بالترقب المعزى الذى سأحصل عليه من عملى فى تلك الدولة .. لكنى بحاجة لأن أعمل وأن أبني مستقبلى .

قالت (هالة) وكأنها ترجوه أن يبقى :

- لكنك وعدتها أن تبقى .

- كنت أظن أننى أستطيع أن أغير أشياء كثيرة ، وأن أحصل على ما أتمناه ، أن تتحسن علاقتى بأبى .. وأن يمنحنى الفرصة للعمل فى مصنعه .. لكن شيئاً من ذلك لم يحدث .

- ألم يدعك أبى بأن يدبر لك وظيفة مناسبة هنا ؟

- لا أظن أنه قد نجح فى ذلك .. ولا أريد أن أثقل عليه ، أيضاً فلنا لا أحب أن أبقى ضيفاً ثقيلاً فى منزل أبى .

***** ١٣٩ *****

- لا تقل هذا .. فمَنْزِل أبيك هو مَنْزِلك .

لنبتسم في مرارة وهو ينظر إليها قائلاً :

- هذا ما تقوله أمي .. لكنه بعيد عن الحقيقة .

- هل جئت بي إلى هنا لتخبرني بذلك فقط ؟ أم لك

تريد رأيي بهذا الشأن ؟

- إنني أعرف ما مستقوليته .. لو كان الأمر بيدي

ما فارقته أمي .. لكنني أخشى أن ينفجر الموقف بيني

وبين أبي يوماً مع هذا الموقف العدائي الذي يتخذه

منى فيزيد ذلك من تعقيد الأمور ويؤدي إلى تدهور

حالتها .

نظرت (هالة) إليه قليلة :

- هل يمكنني أن أسألك سؤالاً صريحاً ؟

- بالطبع .. يا (هالة) .

- هل تحب أباك ؟

نظر إليها بدهشة للحظة .. وقد بدا أن السؤال قد

فلجأه .. أو أنه لم يفكر في أن يطرحه على نفسه من

قبل ، وما لبث أن قال لها بعد برهة من الصمت :

***** ١٤٠ *****

- لم أعد أرى ما إذا كنت أحبه أم أكرهه ، إنه لم

يمنحني الفرصة لكي أثبتن حقيقة شعوري نحوه ..

فقد كان يعاملني دائماً بطريقة تختلف عن معاملته

لأخي .

كان قاسياً معي بطريقة غير مبررة .. وكنت دائماً

أستاعل عن السر في اختلاف أسلوبه في التعامل معي

عن الطريقة التي يتعامل بها مع أخي ، ولماذا يحظى

لأخي بالاهتمام والتبليل في حين يختصني أنا بالشدّة

وتحملي بأعباء لا تتناسب مع صبي صغير ؟

- هل يعني هذا أن معاملته لك لم تختلف بعد حادث

الغرق الذي تعرض له أخوك ؟

- إن الاختلاف الوحيد هو أنها قد ازدادت سوءاً

وأنت إلى المزيد من التباعد بيننا .. لكن سوء

المعاملة كان موجوداً دائماً .

- جنني لا أجد سبباً مقنعاً لهذه الكراهية .. وكنت

أستاعل عما إذا كانت هناك وسيلة ما لإصلاح الأمور

بينكما .

***** ١٤١ *****

- لقد تمنيت أن يحدث هذا .. لكن يبدو أنه أصبح
أمرًا بعيد المنال ..

وترفقت عبرة في عينيه سرعان ما اتسابت فوق
وجنته وهو يقول :

- لقد كان أقسى ما نلت منه هو اتهامه لى بأننى
قتلت أختى - كان اتهاما فظيفا .. ولا أدرى كيف
وصل به الظلم أن يتهمنى اتهاما كهذا .

أحست (هالة) بتعاطف شديد معه .. وبلغ بها
التأثر أن تحدثت عبرة من عينها هى الأخرى حينما
رأته يبكى .

ومدت يدها لتمسح العبرة التى اتسابت فوق وجنته
قليلة بصوت يتدفق حنانا :

- (أحمد) .. أرجوك لا تبك .



١٢- لا ترحل ..

- عاد إلى المنزل فى ساعة متأخرة .. لم يكن قد
أخبر أمه بعد بأمر السفر .. وكان ما زال منشغلا
بالطريقة التى يخبرها بها بذلك .

سلته أمه قللة :

- أين كنت كل هذا الوقت يا بنى ؟

- كنت أجوّل قليلا .

- حتى هذه الساعة المتأخرة ؟

- لقد منعت البقاء فى المنزل يا أمى .

- لكنك لم تتناول غداك حتى الآن .

- لقد تناولته بالخارج .

- هل قابلت أحدا ؟

- نعم .. لقد التقيت بـ (هالة) .

ابتسمت الأم وقد ظهرت علامات الرضا على وجهها
وهى تقول :

- حقاً ؟ وهل تناولت الغداء معك ؟

- كلا .. لقد تحدثنا معاً لمدة ساعة فقط بعدها عادت إلى منزلها .

ولخشي أن تكون قد تأخرت بمسببي ويترتب على ذلك أية مشاكل بالنسبة لها ..

- اطمئن .. لا أظن أن أباهما سيغضب عندما يعلم أنها كانت معك .. فقد تربيتما معاً .. وهو يعرف أخلاقك جيداً ويعرف أنك ستكون حريصاً على ابنته حرصه هو عليها .

- على أية حال .. لقد وعدتني أن تلتني لزيارتنا غداً .. وسأعرف منها ما إذا كانت قد تعرضت للمشاكل بمسببي أم لا .. خاصة وقد أحسست في زيارتي الأخيرة أن أباهما غير مرتاح لتلك الصلة الحميمة التي عادت لتتوطد بيني وبين ابنتيه .. وأنه يريد أن يلصق لي يده يتعين على ألا أتمسك أتنا لم نعد أطفالاً كما كنا من قبل .. وأنه ينبغي أن تكون هناك حدود للتقارب بيننا .

وأردف قائلًا وهو يستعد لصعود السلم المؤدى إلى الطابق العلوي حيث توجد حجراته :

- وبينى وبينك معه حق .

- لو كان ما تقولُه صحيحاً ما سمح لابنته بزيارتنا .. أنت الذي أصبحت حساساً بأكثر مما يجب .

قال لها وقد تذكر أنه سيغادر المنصورة خلال الأيام القادمة استعداداً للمسفر :

- على أية حال .. حتى لو كن قللاً بهذا الشأن .. فمن يكون هناك سبب لقلقه فيما بعد .

سألته أمه قائلة :

- ماذا تعني بذلك ؟

هم بأن يخبرها بالأمر .. لكنه تراجع عن ذلك وقد أشفق عليها مما يمكن أن يسببه لها ذلك من ألم .. وقرر أن يؤجل إطلاعها على قراره بالمسفر لما بعد .

لكنها استوفقت قائلة :

- ما رأيك لو وطننا صلتنا بالأستاذ (نعمان) بشكل أقوى ؟

نظر إليها (أحمد) باستغراب قائلاً :

- ماذا تعنين بذلك ؟

- تتزوج ابنته ! خاصة وأنا أشعر أن كليكما يميل
للآخر .

ابتسم (أحمد) قائلاً :

- هل تقصدين (سماح) ؟

قالت له سريعا :

- بل أقصد (هالة) .

نظر إليها بدهشة وقد بدا أن هذه الفكرة لم تطأ على
تفكيره من قبل وردد :

- (هالة) !

- نعم .. إبنى لن أجد لك من هي أفضل منها .

- لكنك كنت تعدينى بالزواج من (سماح) دائما ،
كما أنها هي الابنة الكبرى .

- لقد كان ذلك على سبيل المداعبة وقتما طفلان -

***** ١٤٦ *****

أما الآن فبإنتى أرى أن (هالة) أفضل بكثير من
أختها .. وفيها كل الصفات التى تتمناها أى أم لابنتها .

أما مسألة الابنة الكبرى أو الصغرى هذه .. فلا تشغل
تفكيرك بها ، فلم يعد أحد يفكر بتلك الطريقة الآن .

- وما الذى لا يعجبك فى (سماح) ؟

- وما الذى لا يعجبك أنت فى (هالة) ؟

- إبنى لا أقول إنها لا تعجبنى .. لكنى لم أفكر فيها
مطلقاً على هذا النحو ، لقد كنت أنظر إليها دائماً على
أنها أخت صغيرة لى أو صديقة .

- إذن عليك أن تغير طريقة تفكيرك وأن تنظر إليها
بطريقة مختلفة خاصة أنتى أشعر بأنها تميل إليك ..
ولجد أن هناك تقارباً كبيراً بينكما فى الأفكار والمشاعر .

ابتسم (أحمد) قائلاً :

- وكيف عرفت بكل ذلك ؟

- إبنى لم وامرأة أيضاً .. وقد تقدم بى العمر بالقدر
الذى يسمح لى بأن أرى الأشياء على حقيقتها .. وأنا
أرى أن (هالة) هي الأصلح لك .

***** ١٤٧ *****

- لكنك لم تجيبى عن سؤالى بعد - ما الذى تعيينه
على (سماح) بما يجعلك تفضلين (هالة) عليها ؟

- هل يهمك ذلك كثيراً ؟

قال لها باهتمام :

- نعم .. وأحب أن أسمعك منك .

- (سماح) فتاة ثلثية ومتحررة بطريقة أكثر من
اللازم .. كما أننى واثقة أنها لا تحبك بالقدر الذى
تحبك به (هالة) .

أوعز (أحمد) ذلك إلى ميل أمه الشخصى
لـ (هالة) .. وتأثرها باهتمامها ورعايتها لها فى أثناء
مرضها .. بل أكثر مما فعلته (سماح) بالنسبة لها .

- على أية حال .. إننى لا أفكر فى الزواج الآن ..
إذ يتعين على أن أجد عملاً أولاً .

- لقد كلمت أبك بهذا الشأن .. وطلبت منه أن يعمل
معه فى المصنع .

- بالطبع لم يوافق .

- إننى واثقة أنه سيوافق فى النهاية .. فقط هو بحاجة
لبعض الوقت .. تماماً كما حدث بالنسبة لعمتك إلى
المنزل .

قال (أحمد) بلا مبالاة :

- لا داعى للإجحاح عليه فى هذا الشأن .. فلما نستطيع
تدبير أمرى .

وهم بالصعود إلى حجرته .. لكنه توقف وهو يضع
قدمه على الدرجة الرابعة من السلم لدى سماعه
صوت أبيه وهو يصيح منادياً :

- (أحمد) !

استدار ليراه واقفاً أسفل السلم وهو ينظر إليه
بعينين تقنحان شراً قتلاً :

- هل تحدثت مع الأستاذ (نعمان) لى يتوسط لك
فى العمل بمصنعى ؟

- ليس هذا صحيحاً .. لقد طلبت منه أن يبحث لى
عن عمل لدى أى شخص من معارفه من أصحاب
الشركات أو المصانع .

قال له بظظة :

- إذا كنت تظن أنك تستطيع أن تؤثر على بذلك
وتضطرني إلى إلحاقك بالمصنع .. فلت واهم .
- إنني لم أطلب منك مطلقاً أن تلحقني بالعمل في
مصنعك .

- لكنك تظن أنك تستطيع الدخول إليه من الباب
الخلفي - وتحاول أن تستغل وساطة الأشخاص
المقربين إلى للتأثير على في هذا الشأن .
تدخلت الأم قائلة :

- إنني لا أدري ما الذي يمنع من إلحاقه بمصنعك !
إنه ابنك على أية حال .. وينتسب إليك مهما حاولت
أنت إنكار ذلك .. وذلك المصنع سينول إليه في يوم
من الأيام .

- إذن .. فليرثه بعد موتى .. لكنني لن أسمح له
بدخول ذلك المصنع ليضع يده على كل شيء بعد أن
تخلص من أخيه .
صاحت الأم قائلة :

- إلى متى ستظل هذه الفكرة الجنونية الغريبة
مسيطرة عليك ؟ لقد أوضح لنا (أحمد) ما حدث عدة
مرات لكنك لا تريد أن تصدق أحداً إلا ذلك الشيطان
الذي سيطر على تفكيرك ، وأدخل تلك الفكرة الشنيعة
إلى عقلك .

نظر إليها وقد بدا مندهشاً وغاضباً في آن واحد
وهو يحتد عليها قائلاً :

- كيف تحدثيني بهذه الطريقة ؟ إنها المرة الأولى
التي تجرئين فيها على مخاطبتي بهذا الشكل .

قالت الأم وهي تنتحب :

- أنا آسفة .. لو كان الأمر متعلقاً بي لما جرؤت
على الحديث إليك بما يغضبك .. لكنك تقسو على ابنك
بلكثر مما يجب .

صاح الأب قائلاً :

- لقد وافقت على عودته إلى هنا من أجلك ..
فلا تطلبني متى أكثر من هذا .

صاح (أحمد) قائلاً :

- لا داعى لكل هذا الصباح من أجلى .. فلم يعد هناك ما يدعو للاستمرار فى هذا اطمئن يا أبى فلا تخش على مصنعك منى لأنتى لا تقوى العمل به .. كما أنتى ساريحك من وجودى فى منزلك .. لأنتى سمسافر خلال اليومين للقادمين للعمل فى إحدى الدول العربية .

ثم هبط درجتين من السلم فقللاً له بلهجة أهدأ :

- كل ما أطلبه منك هو أن تعنى بأمرى فى غيابه .

واقترب من أمه ليمسك بمرفقها فى حنان قائلاً :

- وأنت يا أمى سارسل إليك بعنقوسى ، وعليك أن تطمننينى عليك دائماً .

نظرت إليه الأم غير مصدقة .. ثم ما لبثت أن انخرطت فى بكاء حار .

بينما بدا الأب حائراً ، وقد أحسن بالشفقة والذنب تجاه زوجته ، التى لم يراع حالتها الصحية .. ولم يقدر عواقب هذا الاتفعال عليها برغم تحذير الطبيب له .

تعلقت الأم بابنها وهى تردد قائلة :

- كلا يا (أحمد) .. لا تتركنى .. إننى لن أسمح لك بالرحيل عن هذا المنزل مرة أخرى .. ولو رحلت فسوف أرحل معك .

بينما دخل الأب إلى حجرته وقد أخذ يدور فى أرجائها كالحيوان الحبيس ، وهو يفكر بعمق .

ثم ما لبث أن اتخذ قراراً وجد أنه مضطر إليه اضطراراً :

إنه سيلحق ابنه بالعمل لديه فى المصنع .. فلا سبيل لأمه سوى ذلك بعد أن رأى بنفسه مدى حاجة زوجته إلى وجوده .

أو ربما لأنه دون أن يدري - وهذا ما يرفض الاعتراف به حتى لنفسه - لا يريد أن يرحل عن المنزل مرة أخرى .



- إبنى و (أحمد) صديقان قديمان .. أم فك قد نسيت
ذلك ؟

- لكن تصرفلك الأخيرة معه وطريقتك فى التعامل
معه ، وجذب انتباهه إليك تبتعد كثيراً عن معنى
الصدقة .

قلت (سماح) وهى مستمرة فى لهجتها الساخرة :
- هل تغارين عليه منى يا أختى العزيزة ؟

- إن وقاحتك لن تمنعنى من أن أتصدى لك فى
محاولتك لاستغلال مشاعره ، واستخدامه لإثارة غيرة
من سواه .

- هانتذى قد قلت (مشاعره نحوى) .. إنه ما زال
يحمل لى مشاعر حب قديمة .. وربما أننى أبادله
نفس المشاعر .

- قولى ذلك لأحد غيرى .. فلنا أعرف فك تستظنيه ..
وتستظنين مشاعره .

- إنك غاضبة لأنه لا يهتم بك قدر اهتمامه بى .

***** ١٥٥ *****

١٣- جراح الحب ..

سألت (هالة) أختها قاتلة :

- هل ذهبت إلى (أحمد) فى المصنع بالأمن ..
واصطحبته معك إلى النادى ؟

قالت (سماح) بلا مبالاة :

- نعم .

- (سماح) ما الذى تريدنيه من (أحمد) ؟

نظرت (سماح) إليها بكبرياء قاتلة :

- ماذا تعنين بذلك ؟

قالت (هالة) بإصرار :

- أجبى عن سؤالى !

- وما شأنك أنت ؟

- إن (أحمد) لا يصح أن يكون وسيلة أخرى للتسكين
بالنسبة لك .

نظرت (سماح) إليها بسخرية قاتلة :

***** ١٥٤ *****

- إبنى لا أحاول أن أفرض نفسى عليه كما تفعلين أنت .

- حقاً .. ولماذا ذهبت معه إذن إلى الكازينو بعد خروجك من الكلية ؟

قالت (هالة) وهى تشعر بالفضب :

- هل أخبرك بذلك ؟

- لا بهم كيف عرفت .. المهم أنك تحرمين على ما تحللينه نفسك .. تهاجميننى وتوجهين لى النصيح والإرشاد لأننى خرجت مع زميل لى وقضينا بعض الوقت معا فى الكازينو .. بينما أنت تفعلين نفس الشيء .

- لا تحاولى أن تخلصى الأمور .. فالأمر بالنسبة لى مختلف .

لقد وافقت على مصاحبة (أحمد) إلى ذلك الكازينو .. لأننا نعرفه جيداً منذ أن كنا أطفالاً .. كما أنه كان بحاجة لمن يتحدث إليه فى هذه اللحظة .

قالت (سماح) بسخوة :

- حقاً ؟ وهل وجد فيك ذلك الشخص الذى يصفى إليه ؟ لا تنسى أننا لم نعد أطفالاً .

وخروجك معه وجلوسك بصحبته فى الأماكن العامة المحدودة هنا فيه إساءة إلى سمعتك وسمعة أبيك .

قالت (هالة) وهى تحاول أن تسيطر على تفاعلها :

- على أية حال أنا لم أسهر معه حتى ساعة متأخرة من الليل مثلك .. ولم أقض بصحبته سوى ساعة واحدة فقط .. وقد أطلعت أبى على ذلك بون أن أفعل مثلك .

- ملامت تثقين فى (أحمد) هكذا فلا توجد مشكلة .. وإن يختلف لقائنا به هنا أو فى منزل أبيه عن لقاء أحنا به فى أى مكان آخر .

- لكنى لا أثق بك .. ولما تحدثت عن استغلال مشاعره وتسخيرها لمصلحتك .

قالت (سماح) وهى تتعد إغاضة أختها :

- ما دمت تصرين على توجيه ذلك الاتهام لى - فلنا مضطرة لأن أخبرك بالحقيقة التى أخفيتها عنك احتراماً لمشاعرك ..

أنا و (أحمد) متحابان .. ومن المحتمل أن نتزوج قريباً .

أخفت (هالة) تأثيرها بذلك قليلة :
- وأنا لا أصدقك .

قالت (سماح) ببرود :

- أنت حرة .. تصدقين أو لا تصدقين .. على أية حال لقد أخبرتك بالأمر حتى لا تفاجئين بذلك ويكون هذا بمثابة صدمة لك . فأتأأ أعرف أنك تحبينه .. ولكن مع الأسف إنه لا يحمل لك نفس المشاعر لأن قلبه متجه وجهة أخرى .. وليس بيدى أننى أيضاً أحبه .

- لقد تعاطفت معك حينما أخبرتنى من قبل عن حبك لـ (مجدى) .. لكن يبدو أنك لا تعرفين شيئاً عن الحب .

نظر إليها (أحمد) قائلاً بتفعلال :
- ماذا تقولين ؟

قالت (هالة) فى هدوء :

- أقول إنها لا تحبك .. وإنها تستغل مشاعرك نحوها لإثارة غيرة الشاب الذى تحبه فقط .. ولكى تدفعه إلى الارتباط بها مرة أخرى .

- هذا غير حقيقى ! أنت تكذبين !

- إننى لم أكذب عليك مطلقاً من قبل .. وأقسم لك إن هذه هى الحقيقة .. إننى لم أرغب فى أن أراك مخدوعاً على هذا النحو .

- إننى لا أصدق .. فتاة مثلك كنت أرى أنها تتمتع بصفات وأخلاق رائعة قلما تتوافر فى فتاة أخرى .. تكذب وتسمى إلى أختها هكذا بدافع الحقد والغيرة .

نظرت إليه (هالة) غير مصدقة قليلة :

- للحقد والغيرة ؟ أنا يا (أحمد) .. أنا نظن بى ذلك ؟؟

- كفك تظاهراً .. أنا أعرف أنك تسعين إلى إزاحتها عن طريقى لأنك تحبيننى وتريدى أن تحتلى مكانها فى قلبى .

لم أكن أعتقد أن هذا حقيقى فى البداية .. وكان
يمكننى أن أحترم عاطفتك ومشاعرك نحوى لو لم تلجئنى
إلى هذا الأسلوب الذى لا أرتضيه لك .

صاحت فى وجهه قائلة :

- أنت مغرور وأحمق ! لذا فأتت تستحق ما تقطعه
بك (سمح) ، وإذا كان وهمك قد صور لك أننى
أحبك فهذه مشكلتك .. لكن ليس من حقك أن تتهمنى
بالكذب والحقد والغيرة .

كل ما هنالك أننى أحترمك وأحترم الصلة القديمة
التي تربط بيننا .. لهذا لم أرد أن أراك مخدوعاً ، وأن
أرى مشاعرك تستقل .. وعلى أية حال أنا مخطئة
وأعتذر عما قلته لك .

ثم تركته وانصرفت وهى تحاول أن تخفى عنه تلك
العبرات التى تسابت فوق وجنتيها .

بينما وقف (أحمد) يفكر فيما قلته ، ويستعيد بعض
المواقف والتصرفات التى جرت بينه وبين (سمح)
فى الآونة الأخيرة .. وإفراطها فى إظهار مشاعرها

***** ١٦٠ *****

بشكل غير مألوف فى بعض الأحيان .. خاصة عندما
يكونان معاً فى النادي .

ثم إحصاسه ببرودة مشاعره أحياناً أخرى .

وتسائل فى حيرة وفلق قاتلاً لنفسه :

- ترى .. أليكون ما قلته (هالة) حقيقياً ؟ وهل هذه
المشاعر القوية التى أظهرتها له (سمح) هى مجرد
مشاعر مزيفة وغير حقيقية .. وأنها تستغله لإشارة
لقتباه واهتمام شخص آخر فقط ؟

مرت أربعة أيام منذ أن تحدثت (هالة) إلى (أحمد)
فى هذا الشأن ، وأنه يعرض طريقها فى أثناء ذهابها
إلى المنزل .. فتجاهلته وحاولت أن تتخذ لنفسها
طريقاً آخر .

لكنه لحق بها قاتلاً :

- (هالة) أرجوك لا تهربى منى لقد جئت لأعذر
لك .

قلت وهى تشيح بوجهها عنه :

- لا يهمنى اعتذارك .

- أما إذا فيهمنى ذلك كثيرا .. لقد أخطأت فى حقك -
وأساءت إليك على نحو يجعلنى غير قادر على أن
أسامح نفسى .

توقفت عن متابعة المسير وقد ظلت صامئة وهى تشيح
بوجهها عنه . بينما استطرد قائلا :

- لقد تبين لى أن كل ما قلته كان حقيقيا .. وأتبنى
كنت ساذجا ومخدوعا إلى أقصى حد .

لكن يبدو أن حماقتى وغرورى كما قلت منعانى من
أن أرى الأشياء على حقيقتها منذ البداية .

لقد عادت (سمح) إلى حبها القديم .. وانتهى
دورى بالنسبة لها .

وعلى أية حال إنها ليست هى الملوثة .. بل اللوم
يقع على أولا .. فقد تركت نفسى أنساق وراء مشاعر
مراهقة قديمة كنت أظن أننى أستطيع أن أجدها
وأبعثها فى حياتى مرة أخرى ، دون أن أدرك أن
المشاعر مثلها مثل أشياء أخرى كثيرة .. ومثل
الأشخاص معرضة للتغير والتبدل مع الزمن .

نظرت (هالة) إليه بطرف عينيها .. وهى تحرص
على ألا تلتقى عيناها بعينه فتفضح ماتخفيه فى نفسها .
لقد تمنيت أن أقول له فى هذه اللحظة إن الزمن لم
يغير شيئا من مشاعرها نحوه .. وإنها أحبته طفلا
وصبيا كما أحبته رجلا .. وكما عاش فى خيالها فتى
أحلامها .

لكن .. ماذا يجدى ذلك إذا كانت هى بعيدة عن
مشاعره وقلبه .. ولا يرى فيها سوى صديقة يلجأ
إليها أحيانا للحديث عن متاعبه وهمومه !

ماذا تفعل إذا كان قد فضل أختها عليها وأنساق
وراء عاطفة وهمية ؟

ثم جاء اليوم ليخبرها بأنه عرف أخيرا أنه كان
مخدوعا .. وأنه جاء ليعتذر عن تكتييه لها وإساءته إليها .

وماذا يجديها الاعتذار الآن ؟ وهل يكفى مجرد
الاعتذار لمداواة جراح قلبها ونفسها ؟
قالت له بصوت خافت :

- وماذا تريد منى الآن ؟ هل تريد أن أقتل لإصلاح
الأمور بينكما وإقناعها بأن تعود إليك ؟

- أريد منك أن تقبلي أسفى واعتذارى أولاً .. لما
ما بينى وبين (سماح) فقد انتهى تماماً .. ولم أعد
أستفا على ما حدث ، لأنى أظن أن هذا أفضل بالنسبة
لى .. وأنه جاء فى الوقت المناسب تماماً .

- كيف ؟

- الآن أستطيع أن أرى الأشياء بوضوح أكثر .. ولن
أتهين للنفس من الردى .. لقد صدقت أسمى .. أنت
الأقرب بالنسبة لى يا (هالة) .. ولا أدري كيف لم
يمكننى أن أتهين ذلك منذ البداية ؟!

قالت له بكبرياء :

- أشرك على هذا التقدير يا أستاذ (أحمد) .. وعلى
أية حال إذا كنت حريصاً على صداقتنا فأنا أيضاً
مازلت حريصة عليها . ولن أفرط فيها بسهولة .

- إبنى لا تكلم عن الصداقة الآن .. بل عن حبى لك .

قاطعته بحدة قاتلة :

- إذا كنت حريصاً على أن يبقى بيننا شيء ما
فلا تتحدث عن الحب .

- لماذا يا (هالة) ؟

- لأننى لا أرضى لنفسى أن أكون وسيلة للنسيان
وللتقلب على صدمتك فى مشاعرك تجاه (سماح) .

قال (أحمد) سريعاً :

- أنت مخطئة يا (هالة) .. فلا يمكن أن أرتضى
أن تكونى بالنسبة لى وسيلة للنسيان فتاة أخرى ..
وما حدث من (سماح) نهىنى فقط إلى حقيقة كانت
غريبة عنى ، وهى أنك الأقرب لعقلى وقلبى وأفكارى ..
وأن (سماح) لم تخدعنى بقدر خديعتى لنفسى .. لأنه
أجلاً أو عاجلاً لم تكن تلك العاطفة الزائفة التى كنت
أحملها تجاه (سماح) لتدوم - حتى ولو لم يكن فى
حياتها شخص آخر .

هل تعرفين لماذا ؟ لأننى اكتشفت تدريجياً أن هناك
تباعدًا حقيقياً بيننا فى الأفكار والمشاعر والأحاسيس ..
وأن النظرة التى كنت أنظر بها إليها وأنا أعيش
سنوات صباى الأولى تختلف عن نظرتى إليها الآن .

قالت له دون أن تلين مشاعرها تجاهه :

- حسن .. وما المطلوب مني الآن بعد كل ما قلته !!
- لقد قلت لك .. إنني أرى الآن بوضوح أنني
أحبك .. ولا بد أن تصدقني .

قلت وهي ما زالت متأثرة بكبريلها للجريح حينما
اتهمها بالكذب والحقد والغيرة :

- وماذا لو صدقتك ؟ هل من المفترض أن أكون أنا
الأخرى أحبك ؟ أم أن غورك ما زال يصور لك ذلك ؟
- (هالة) لقد اعتقدت أنك ..

قاطعته بجفاء قائلة :

- لا تعتقد شيئاً - ولو سمحت .. لقد تأخرت عن
العودة إلى المنزل .

وأسرعت بالانصراف وقد تركته حزيناََ بقمنا ..
وأحس بأنه ربما يكون قد فقدوا إلى الأبد .

أما هي فقد ظلت تبكي طوال الطريق .. لقد
انتصرت لكرامتها على حساب عواطفها .. ولا تدري
إذا كان هذا انتصاراً حقيقياً أم بداية لآلام جديدة ربما
لا تتمكن من مداواتها .

***** ١٦٦ *****

١٤ - ابتسامة القدر ..

جول للحاج (عبد الراضى) فى أرجاء مصنعه ،
حيث رأى بعض العمال يتجمعون حول إحدى
الماكينات وهم يصيحون ويهللون .
فلججه إليهم قائلاً :

- ما هذا الصخب ؟ ولماذا تركتم عملكم ؟

قال أحدهم وهو يشير إلى (أحمد) الذى كان يقف
بينهم :

- لقد قام الباشمهندس (أحمد) بإصلاح الماكينة
المعطلة هنا .. وإعادتها إلى العمل بكفاءة مرة أخرى .

قال (عبد الراضى) بجفاء :

- وماذا فى ذلك ؟ هل يستحق الأمر أن تتركوا
أعمالكم وتحدثوا كل هذه الجلبة ؟

تحدث أحد العمال قائلاً :

- لقد كنا نهنئ الباشمهندس على مهارته ..

***** ١٦٧ *****

فلاتتمس يا حاج أن الخبير الأجنبي الذى جئت به فضل
فى إصلاحها .. وأنا كنا فى طريقنا للاستغناء عنها
تماماً .

قال بجفاء ودون أن يبدى أى تقدير تجاه ما فعله
ابنه :

- إنه عمله على أية حال .. وهو يتقاضى راتبه
مقابل ذلك .

هيا فلينصرف كل منكم إلى عمله .. ولا أريد أن
أرى تجمعات كهذه مرة أخرى .

وانصرف العمال إلى آلاتهم فى حين ظل (أحمد)
واقفاً فى مكانه ، وهو ينظر إلى أبيه نظرة تتم عن
الإحباط الذى لحسه ، وعن يأسه فى أن ينال رضا عن
أى شىء يفعله .

بينما حنجه الأب بنظرة متصلبة تخلو من أى
عاطفة .. ثم استدار عائدًا إلى مكتبه ، دون أن يوجه
له أى كلمة تعبر عن تقديره لما فعله ، وما لبث أن
لحق به الابن فى حجرته وقد تفجرت مشاعر الإحباط
بدخله وهو يصيح قائلاً لأبيه :

- بقنى لا أفرى ما الذى يمكن أن أفعله ليرضيك ؟
وهل وافقت على أن أصعل لديك فى هذا المصنع لكى
تستغل ذلك لإذلالى ، وإظهار كراهيتك لى أمام العمال
من أن لآخر ؟

إنك تتصد أن توجه لى اللوم دائماً أمامهم .. وحتى
حينما نجحت فى عمل شىء ظننت أنه يمكن أن
يجعلنى أثقل تقديرك ، لم ألقى منك سوى الاستخفاف
والاستهانة .

إلى متى تستمر فى معاملتى هكذا ؟ ومتى تتوقف عن
كراهيتك لى ؟

قال له الأب دون أن يتخلى عن جفائه :

- لا تظن أنك تستطيع أن تجعلنى أنسى ما حدث
منك بأعمال كهذه .. فما حدث لا يمكن أن ينسى ،
ولا يمكن أن أغفر لك تسببك فى غرق أخيك .

- كلا .. لا تحاول أن ترضى ضميرك بالتعلق بهذا
السبب .. فكراهيتك ومعاملتك السيئة لى كانت
موجودة قبل وفاة (أكرم) .. وكل ما هنالك أنك وجدت

في هذه الحادثة مبرراً قوياً لتزيد من سوء معاملتك ،
وكراهيتك لى .. برغم أن الجميع مقتنع بأنه لم يكن
لى نذب فى غرق (لكرم) .

ولكنك أنت الوحيد الذى تريد أن تقتع نفسك بأئنى
الممنول عن موته . حتى يتمسك بسوء معاملتك لى .

ولو كانت هذه هى شخصيتك وطريقتك فى التعامل
مع كل من حولك لقلت إنها طبيعتك التى لا تستطيع أن
تغيرها ، لكننى كنت أراك دائماً تعامل أخى الصغير
معاملة أفضل من معاملتك لى .. وكنت تؤثره وحده
على بعطفك وحنانك وتديلك .

قال الأب محتدأ :

- نعم .. أقصص عما فى صدرك فهذه هى الحقيقة ..
إن غيرتك من أخيك وكراهيتك له .. هى التى دفعتك
إلى التخلص منه وارتكاب هذا الجرم الذى لا يغفر .

قال (أحمد) باتفعال شديد :

- سأروى لك ما حدث للمرة العشرين .. برغم أننى
لا أحب تذكر ذلك أو التحدث عنه .. ولك أن تصدق أو
لا تصدق .

لقد حاولت أن أجعل (لكرم) يتغلب على عقننه تجاه
البحر بعد تعرضه للفرق من قبل .. كنت أريد أن
أساعده وأن أجعله يتعلم للوم كما تعلمته - لأنه كان
أخى الأصغر وكنت أحبه ..

لكن خوفه من الماء كان يمنعه من ذلك ، وعندما
ذهبنا إلى الإسكندرية أردت أن أجعله يتغلب على
خوفه من الماء أولاً .. ثم أبدأ فى تعليمه السباحة
تدريجياً .. لذا ألححت عليه أن يصحبنى فى تلك
النزهة البحرية بالقرب .. لكنه أصر على الرفض
وطلبت منى أنت أيضاً يومها ألا أتح عليه فى ذلك ..
ففعلت .

لكنه بعدها بقتيل جاء ليطلب منى أن أصحبه فى هذا
القارب بعد أن سخر منه بعض أصدقائه بسبب خوفه
من الاقتراب من الماء ، فالتفتع بأنه لابد أن يتغلب على
عقننه هذه .

وحينما أصبحنا فى عرض البحر اشتدت الرياح ..
وعلا الموج بشدة على نحو أصابه بالذعر .. فقررت
أن أعود إلى الشاطئ .. وبذلت جهداً قوياً فى

التجديف برغم ارتفاع الأمواج من أجل أن أسرع
بالعودة .

لكن موجة قوية أطاحت به من فوق القارب وألقته
في الماء وأطاحت به لنا أيضا لترتطم رأسى بحافة
القارب ..

ففقدت الوعي لمدة خمس دقائق ظلت خلالها منقى
على وجهى داخل القارب ، ورأسى تنزف دون أن
أدري شيئا عما يدور حولى ، وعندما تنبهت ففكرت
إلى الماء كالمجنون للبحث عن أخى وأنا أدعو الله ألا
يكون قد أصابه مكروه ، وأن أتمكن من إنقاذه .

لكنى عثرت عليه غريقا .. وكانت إرادة الله أن
يختاره إلى جواره .. فلم أتمكن من إنقاذه ..

أقسم لك إن هذا هو ما حدث .. ولو كان الأمر
بيدى لنبذت روحى من أجل إنقاذه (أكرم) .

قال الأب دون أن تؤثر فيه كلمات ابنه :
- حتى لو كان ما تقوله صحيحا .. فإن هذا لا يعفيك
من المسئولية ..

فقد كان يتعين عليك ألا تصحبه فى ذلك القارب
خاصة بعد أن طلبت منك ذلك .

- لقد فعلت ذلك بإلحاح منه .. ولم يكن يوجد
ما ينبى بهياج للبحر واشتداد الرياح هكذا .. لكنه
القدر .. لقد اختار لنا للقدر أن نعيش جميعا هذه
للمأساة الحزينة - كما اختار أن يختطف البحر
(أكرم) فى هذا اليوم .

قال الأب محتدا :

- لا تلق باللوم على القدر .. ولا تطلب منى أن
سامحك على ما حدث أبدا .

قال (أحمد) ببأس :

- أعرف أنك إن تسامحنى .. وأعرف أنك لا تطيق
وجودى .. هنا أو فى المنزل لو فى أى مكان آخر ..
ولك كنت تفضل لو كان الموج قد ابتلعنى أنا بدلا من
(أكرم) .. ولو كان الأمر بيدي لحققت لك هذه الأمنية ..

على أية حال أظن أنه لا جدوى من الاستمرار على
هذا النحو .. وأنه كان من الخطأ أن أعود إلى هنا .

لكنى مصر هذه المرة على الرحيل ولن تترانى بعد
ذلك فى المنزل أو المصنع أو فى أى مكان آخر .
وتركه جالساً أمام مكتبه وأسرع بمغادرة المكان .
وبعد برهة قصيرة من انصرافه ، بدأ الأب يحس
بشيء من تأنيب الضمير لأول مرة .. وهم باللاحاق
به .. لكنه تراجع عن ذلك وأخرج صورة ابنه المتوفى
من درج مكتبه .. وقد أخذ يتأملها والعبيرت تنهمر
من عينيه .

رفعت (هالة) سماعة للهاتف لتسمع صوت الحاجة
(نوال) وهى تيكى قائلة :
- (هالة) لقد غادر (أحمد) المنزل منذ قليل ..
أرجوك يا بنيتى .. أرجوك .. حاولى أن تلحقى به فى
المحطة وتمنعه من السفر بأى وسيلة .
قالت (هالة) باتزعاج :
- ماذا حدث ؟

- لقد عامله أبوه بقسوة مرة أخرى .. فقرر ألا
يبقى .. وترك عمله فى المصنع .. وعاد إلى المنزل

ليحمل حقييته ويرحل دون أن تفلح توسلاتى فى إثنائه
عن ذلك .

لنا أعرف أنه يحبك كما أنك تحبينه .. وربما
تمكنت يا بنيتى من إقناعه بالتراجع عن السفر ..
وإصلاح ما حدث .

فقلت (هالة) وهى تنهض سريعاً :

- سأحاول للحاق به قبل أن يستقل القطار .. ربما
نجحت فى ذلك .

وارتدت ثيابها سريعاً .. وأسهرت بالانطلاق
بسيارتها وهى تزيد من سرعتها أملاً فى اللحاق به .
كانت مضطربة للغاية .. وأخذت تردد وهى تقود
سيارتها :

- لا يا (أحمد) .. لا ترحل .. لبقى من أجلى ..
لا تتركنى الآن .. إبنى أحبك .. ولا يمكنك أن تعرف
مقدار حبنى لك .

وما لبثت أن رآته واقفاً على رصيف القطار ..
فاندفعت تركض نحوه وهى تتأديه :

- (أحمد) .. (أحمد) .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- (هالة) .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

قالت له بتوسل :

- لا تصافر يا (أحمد) .

- لم يعد هناك ما يدعونى إلى البقاء هنا .. لقد
فُشلت فى أن أُنال حبك أو حب أبى - ولم يعد يوجد
ما يربطنى بهذه المدينة سوى رغبتي فى الاطمئنان
على أمى .. وسأجد وسيلة لتحقيق ذلك دون أن
يضطرنى الأمر للعودة إلى هنا .

- لكنى أحبك يا (أحمد) .

- ليس هناك ما يضطرك إلى أن تقولى لى ذلك ..
فلن ينجح هذا فى التأثير على -

قالت له متوسلة :

- صدقتى يا (أحمد) - إننى أحبك - وما قلته لك
فى لقلنا الأخير كان كذباً ومحاولة منى لإرضاء
كرامتى الجريحة .

- لقد اختلطت الأمور بالنسبة لى .. ولم أعد أدرى ..
ما الذى لأصدقه .. وما الذى أكذبه ؟

لقد كتبت مشاعر (سماح) نحوى كذباً وخداغاً ..
وكذلك مشاعرى نحوها ونحوك لم تكن واضحة
ومحددة .. ولا أدرى ما إذا كان يمكننى أن أثق بما
تقولينه لى الآن أم لا !!

للشئ الوحيد المؤكد بالنسبة لى .. هى مشاعر
أبى نحوى والتي تعبر دائماً عن الكراهية والقسوة
بشكل صريح .

- (أحمد) .. أرجوك اسمعنى .

راقب أحمد للقطار القادم إلى المحطة قائلاً :

- لم يعد هناك جدوى من ذلك يا (هالة) - لقد
جاء للقطار ويتعين على الآن .. أن أرحل .

بكت وهى تريد من توصلاتها إليه قائلة :

- كلا يا (أحمد) .. أرجوك لا ترحل !

لكنه لم يستجب لتوصلاتها واستعد لركوب القطار
قائلاً :

- وداعاً يا (هالة) .

لكن قبل أن يضع قدميه داخل القطار .. لمح أحد عمال المصنع وهو يهرول في اتجاهه قاتلاً :

- يا (باشمهندس) .. يا (باشمهندس) !

تراجع (أحمد) عن ركوب القطار قاتلاً :

- (فوزى) - ماذا حدث ؟

قال له العامل وهو يلهث :

- لقد حدث حريق كبير فى المصنع .. غير (ثمينة) يحترق .

نظر إليه (أحمد) بذهول قاتلاً :

- ماذا ؟ ألم تتمكنوا من إطفائه ؟

قال له العامل :

- لقد فشلت كل جهودنا فى سبيل ذلك - ولست دعينا رجال الإطفاء .

لكن والدك أصر على الدخول إلى العنبر والمشاركة فى إطفائه .. برغم محاولتنا منعه من ذلك .

***** ١٧٨ *****

قال (أحمد) وقد ارتسمت على وجهه ملامح الفزع :

- أبى !

- نعم .. وقد أصر على خروج بقية العمال من العنبر قبل خروجه ، بعد أن تبين له فشل المحاولات التى لجأنا إليها لإطفاء الحريق . والنيران تحاصره داخل العنبر الآن .

اندفع (أحمد) مهرولاً خارج المحطة على إثر سماعه لذلك ، وقد أصابه الخوف والهلع على أبيه .

بينما لحقت به (هالة) التى أفرعها ذلك الخبر أيضاً قليلة :

- تنتظر .. ساوصلك بسيارتى .

اندفع (أحمد) داخل المصنع حيث كانت النيران متأججة داخل العنبر قاتلاً :

- ألم يصل رجال الإطفاء بعد ؟

***** ١٧٩ *****

قال له أحدهم :

- لقد اتصلنا بهم مجدداً ، وأخبرونا أن هناك سيارتين من سيارات الإطفاء فى طريقهما إلى هنا .

- وهل ستظل مكتوفى الأيدى هكذا حتى تصل سيارات الإطفاء بينما أبى محاصر بالنيران فى الداخل ؟

قال له أحدهم :

- لقد حاولنا أن نمنعه من دخول العنبر ، لكنه أصر على ذلك .. وكما ترى .. النيران تزد منخل العنبر تماماً مما يحول دون الدخول إليه .

نظر إلى أحد العمال قائلاً :

- (إبراهيم) أحضر لى سلماً خشبياً .

ثم تحدث إلى آخر قائلاً :

- وأنت أحضر لى حبلًا .

سأله العامل قائلاً :

- ماذا تريد أن تفعل يا باشمهندس ؟

لكنه قال باتفعال :

- افعلوا ما أطلبه منكم سريعاً ولا تضيعوا الوقت .

وأحضروا له السلم والحبل .. حيث ثبته على جدار العنبر من الخارج قائلاً للعمالين :

- اصعدا معى .

وسبقهما للصعود إلى سطح العنبر حيث توجد نوافذ زجاجية تطل على الداخل .

وهشم إحدى النوافذ الزجاجية مستخدماً فى ذلك آلة حادة ، قائلاً للعمال :

- ساعدونى فى تثبيت طرف الحبل فى حافة النافذة .

سأله أحدهما قائلاً :

- ولكن .. ما الذى تريد أن تفعله ؟

- سأستخدم الحبل فى الهبوط إلى العنبر من الداخل وإنقاذ أبى .

قال له العامل :

- ولكن تلك يعرضك لخطر كبير .

قال (أحمد) بلهجة حاسمة :

- لاشأن لكما بذلك .. كل ما يتعين عليكما أن تفعلاه هو أن تساعدا في جذب الحبل إلى أعلى حينما نتعلق به .

ومالبث أن هبط إلى داخل العنبر متعلقاً بالحبل ، وقد حبس الجميع أنفاسهم وهم يتطلعون إليه .

بينما أخذ قلب (هالة) يخفق بشدة وهي تدعو لله أن ينقذه من الحريق ، وأن يتغلب هو وأبوه على وحشية النيران التي كانت تزحف داخل العنبر تدريجياً .

نظر الأب الذي كانت النيران تحاصره في أحد أركان العنبر إلى ابنه في ذعر قاتل :

- (أحمد) .. لماذا فعلت ذلك ؟ وكيف سمحت بتعريض نفسك للخطر هكذا ؟

- ما كان يمكنني أن أراك محاصراً وسط النيران هكذا وأقف موقف المتفرج .

تطلع الأب إلى وجه ابنه وقد تغلبت مشاعر الأبوة والحنان على ملامح القزع التي كانت ترتسم على وجهه في هذه اللحظة ، قاتلاً :

- (أحمد) .. اتج بنفسك يا بني .

- سننجو معاً .. هيا دعني أربط هذا الحبل حول وسطك وليس عليك سوى أن تتعلق به ليجنبوك إلى أعلى سطح العنبر .

- وماذا عنك ؟

- سألحق بك .

قال الأب معترضاً :

- كلا .. إما أن نصعد معاً .. وإما

لكن (أحمد) قاطعه .. قاتلاً بإصرار وهو يلف الحبل حول وسط أبيه بإحكام :

- لا وقت أمامنا نضيعه .. إن الحبل لن يتحملنا نحن الاثنين .. عليك أن تمرع بتسلفه قبل أن تمتد النيران إلى هنا .

ولم يجد الأب بداً من الاستجابة لإصرار ابنه .. الذي أشار للعمال لكي يرفعوه .

لكن ما إن ارتفع عن الأرض قليلاً ، حتى امتدت

السنة الثيران لتحاصر (أحمد) بدوره وتمنعه من الوصول إلى المكان الذي يتلى إليه الحبل ، فصاح الأب هلعاً وهو يقول :
- (أحمد) ! ابني !

لكن (أحمد) أشار إلى العمال لكي يستمروا في جذب الحبل إلى أعلى دون أن يابهوا له .

لكن الأب سارع بحل الحبل عن وسطه ، وقفز إلى داخل العنبر مرة أخرى ، بعد أن تارجح في اتجاه ابنه دون أن يواصل الصعود .

صرخ (أحمد) قائلاً :

- لماذا فعلت ذلك ؟

قال الأب وهو يلف ذراعه حول كتفى ابنه ليجذبه بعيداً عن الثيران :

- إما أن نحيا معاً .. أو نموت معاً .. فلا يمكنني تحمل الحياة بعد أن فجعت مرة في موت أحد أبنائي غرقاً .. ثم أفجع مرة أخرى في موت ابني الثاني حرقاً .

بكي (أحمد) قائلاً :

- كنت أتمنى أن أرى هذا الحب منك من قبل .

قال الأب وهو يبتسم بمرارة ، برغم العبرات التي تسابت على وجنتيه :

- وأنا لم أكن أظن أنك تحمل لي كل هذا الحب برغم قصوتي معك وظلمي لك .

- هل اشتعت الآن بأنه لا ذنب لي في موت أخي ؟

- سامحني يا بني .. لقد أعمتني الصدمة .

قبل (أحمد) أباه قائلاً :

- أرجو أن تسامحني أنت على أي خطأ ارتكبته في حقك .

- هناك شيء يهمني أن تعرفه ونحن نقترّب من الموت .. وهي أن شدتي وحزمي معك وأنت صغير بعكس أخيك .. لم تكن بسبب كراهيتي لك أو لأنني أفضل أخاك عليك كما تخيلت - فقد أحببتكما أنتما الاثنين بنفس القدر .

ولكن لأن الأطباء أخبروني بأننى مريض بمرض خطير .. وأتنبأ أن أعيش سوى سنوات قليلة .

لذا قررت أن أعدك لتتولى المسؤولية وتحل محلى بعد موتى .

فاحضرتك إلى المصنع وأصررت على أن تطلع على كل شيء ، وتمارس كل عمل مهما كان صغيراً كما فطنت أنا من قبل ، حتى أعدك لتحمل هذه المسؤولية .. ولكى تكون مؤهلاً لرعاية أمك وأخيك الصغير بعد موتى .

وكنت أرى أنك تستطيع القيام بذلك .

أما أخوك فلم يكن لديه هذا الاستعداد مثلك .. كما أنه كان أصغر منك فى العمر .. ولم ينل ما نلتك أنت من رعاية فى الصغر .. كما أتنبأ قدرت أنتى لم أوله الرعاية والتدليل الكافيين فى سنوات عمره الأولى كما فعلت معك .. لأنك كنت أول أبنائى وكنت فرحاً بك للغاية .

وهذا ما دفعنى إلى تدليله .. فى الوقت الذى سعت

فيه لإعدادك لرجولة مبكرة تكمل بها المشوار من بعدى .

لكن فى الوقت الذى شاء فيه القدر أن أتجو من خطورة هذا المرض بعد سفرى وعلاجى فى الخارج .. شاء أيضاً أن يحرمنى من الابن الذى كنت أحمل همه بعد موتى .

وأن أحرم أيضاً من الابن الذى أبعدته عنى بجهلى وقسوتى .

مرة أخرى أرجوك أن تسامحنى يا بنى .

- ولنا أيضاً أرجوك مرة أخرى أن تسامحنى يا أبى .. لأننى ظلمتك ولم أكن أعرف السر وراء معاملتك الشديدة لى من قبل .. وأظن أتنبأ بعد أن عرفت الآن ، وبعد أن اكتسعت ببراعتى من موت أخى يمكننى أن أقبل الموت بنفس راضية .

وفى تلك اللحظة سمعنا صوتاً يناديهما من أعلى قاتلاً :

- لقد حضر رجال الإطفاء وهم يستعدون للهبوط

إليك والتدخل لإفلاككم ، وما لبثا أن رأيا سلماً معنئياً
ينزلق من سطح الغدير إلى أسفل ، حيث هبط رجال
الإطفاء وهم يصوبون خرطوم المياه وفوهات
أجهزتهم الكيميائية في اتجاه النيران التي تحاصرهما ..
للمعمل على إطفائها وإبعاد ألسنة اللهب عنهما .

بينما ألقى أحدهم إليهما بمسرتين واقبتين من
النيران ، وهو يطلب منهما أن يرتدياهما .

ثم تمكنوا أخيراً من إبعاد ألسنة النيران عنهما
واصطحبهما إلى السلم المعلنى لمساعدتهما على
الصعود إلى أعلى .

هال العمال فرحاً بنجاة الأب وابنه .. بينما نظر كل
منهما إلى الآخر للحظة ، بعد أن ابتعدا عن الخطر
تماماً .. وقد تهلل وجهاهما بالرضا والسعادة للنجاة ..

ثم احتضنا بعضهما بشدة والتفعا مؤثر .

وسار (أحمد) بصحبة أبيه إلى الخارج ، وهو
يحيط كتفى الرجل بذراعه ، وقدفعت (هالة) نحوهما ،
وقد ارتسمت ملامح السعادة والفرحة على وجهها
قائلة :

- حمداً لله على سلامتك يا (أحمد) .

ثم أردفت قائلة للأب :

- حمداً لله على سلامتك يا عمى .

قال لها الأب :

- سلمك الله يا بنيتى .

بينما نظر إليها (أحمد) بعينين تفيضان حباً ، قائلاً :

- (هالة) .. هل أنت وثقة مما قلته لى على رصيف
القطار ؟

نظرت إليه وفي عينيها نفس للفيض من المشاعر
قائلة :

- كل الثقة يا (أحمد) .

نظر (أحمد) إلى أبيه قائلاً :

- أبى .. أريد أن تزوجنى من هذه الفتاة .

ابتسم الأب قائلاً :

- وأما مستعد لتلبية طلبك فوراً .. فقد أحسنت الاختيار .

وواصل (أحمد) طريقه إلى الخارج وهو يحيط أباه بإحدى ذراعيه ، فى حين أحاطت ذراعه الأخرى بـ (هالة) .. وقد أحس أن القدر قد ابتسم له أخيراً .

[تمت بحمد لله]

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة :

- | | | |
|-----------------------|------------------------|------------------------|
| 57 - جدار الماضى . | 29 - العلم . | 1 - من أجلك . |
| 58 - لآلى أحبك . | 30 - زوجى . | 2 - لا تقل وداعا . |
| 59 - الأسيرة . | 31 - الحب والعجزة . | 3 - قلوب لا تنفى . |
| 60 - مريحاً بالحب . | 32 - وداعاً للماضى . | 4 - الدموع الباردة . |
| 61 - شمعة لا تنطفئ . | 33 - طائر غريب . | 5 - من هى حياتى . |
| 62 - لا ترحلى . | 34 - هذا الرجل . | 6 - يا قلب لا تقهر . |
| 63 - نسمة حب . | 35 - التقينا من جديد . | 7 - النبع العذب . |
| 64 - الصديقتان . | 36 - نسمة الصباح . | 8 - ملوور بلا أجنحة . |
| 65 - الوجه الدميم . | 37 - إن أعود . | 9 - رسالة حب . |
| 66 - خفقات قلب . | 38 - الشريك . | 10 - لعبة القدر . |
| 67 - جراح الماضى . | 39 - أنت قدرى . | 11 - العصفور الجريح . |
| 68 - حبيبتى الوحيدة . | 40 - بلا أمل . | 12 - أشجار الحب . |
| 69 - آلام الحب . | 41 - أحلام ضائعة . | 13 - رحلة قلب . |
| 70 - كفانا عناداً . | 42 - أبى المصيب . | 14 - شمس الليل . |
| 71 - رجل أحببته . | 43 - العاجز . | 15 - الحب بلا أرقام . |
| 72 - نبع الحب . | 44 - لن أنساك . | 16 - لقاء الحب . |
| 73 - مشاعر دافئة . | 45 - ستنقى فى قلبى . | 17 - للزرة السوداء . |
| 74 - أشواك الحب . | 46 - أحبيبتك فى صمت . | 18 - حب وكراهية . |
| 75 - لن أكن . | 47 - رجل وقلبان . | 19 - ودا ب الجليل . |
| 76 - قلوب حائرة . | 48 - الحب الجريح . | 20 - حب وسط التهران . |
| 77 - وداعاً للأبد . | 49 - الحب والاختيار . | 21 - دموع كيويك . |
| 78 - فتاة جميلة . | 50 - وابتسمت الحياة . | 22 - أوهام الحب . |
| 79 - قسوة وفقران . | 51 - اللقاء الأخير . | 23 - نداء قلبى . |
| 80 - ليس من أجلى . | 52 - عودة القلب . | 24 - حذار من الحب . |
| 81 - سحابة صيف . | 53 - أمواج الحب . | 25 - التوحد . |
| 82 - زهرة بريّة . | 54 - معك دائماً . | 26 - وداعاً يا حبيبى . |
| 83 - زهرتى الجميلة . | 55 - اغفر لى . | 27 - حبى المذهب . |
| 84 - ابتسامة القدر . | 56 - لقاء فى القروب . | 28 - لك قلبى . |



١. شريف شوقي

المنظمة المتحدة التي في بيتها القلب
أو الأم حركاً من وجودها بالمنزل

ابتسامة القدر

كان عليه أن يرحل عن
المنزل الذي تربى فيه .. وقد
أصبح منبوذاً من الأب ..
محروماً من حنان الأم .. وظن
أن القدر قد اختار له طريق
الاحزان ... فهل يبتسم له
القدر يوماً ما ؟

84

الشمس في مصر ٢٠٠٠

وما بعد له بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم